المُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ..

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران : ١٠٢] .

وقال سبحانه :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[النساء : ١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب : ٧٠-٧١] .

أما بعد :

فإنَّ كتاب الله هو حجَّته الباقية على عباده ، وحبله المتين ، وصراطه المستقيم ، من تمسك به رشد واستقام ، ومن ضلَّ عنه غوى وهوى ، هو أشرف الكتب المنزلة وأعلاها مكانة وقدراً ، وأجلها غايةً، وأحكمها بياناً، وأتقنها نظماً وجمالاً ، تلاوته عبادة ، وتفسيره وتدبره قربة ، وتعلمه وتعليمه رفعة والاستشفاء به نجاة.

قال الزركشي رحمه الله : (فسبحان من سلكه ينابيع القلوب ، وصرفه بأبدع معنى وأعذب أسلوب ، لا يستقصي معانيه فهم الخلق ، ولا يحيط بوصفه

على الإطلاق ذو اللسان الطلق ، فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه والموفق من وفقه الله لتدبره ، واصطفاه للتذكير به وتذكره) [١].

وقد اعتنى العلماء المسلمون رحمهم الله بكتاب الله عزَّ وجلَّ عناية فائقة ؛ فتتابعت أنواع التأليف في أحكامه وفي تفسيره وفي قراءاته وبلاغته وإعرابه ، وذلك على حسب ما آتاهم الله من العلم والإيمان والفهم والتقوى.

ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ العلامة ابن ظفر الصقلي المتوفى سنة : (٥٦٥هـ) في تفسيره : (ينبوع الحياة) ، الذي كان موجوداً في أقسام المخطوطات ببعض مكتبات العالم ينتظر من يخرجه ويحقِّقه ويظهره للنور.

وبعد السؤال والتقصِّي اخترت هذا المخطوط لاحتياجه للتحقيق ، وذلك بعد أن قدِّمت رسالة في الجامعة الإسلامية بدراسة منهجه في التفسير قدَّمها الدكتور/ صالح الفايز - أستاذ التفسير وعلوم القرآن - ، وعزمت بمشيئة الله على المساهمة في تحقيق ودراسة تفسير سورة الأعراف من هذا المخطوط.

وقد اخترته لوضوح النسخة المخطوطة الوحيدة للكتاب ، وقلة السقط ، إلا أنني وجدت صعوبات في بعض الكلمات غير المفهومة ، فسافرت إلى القاهرة ، وطابقت ما عندي من نسخة على النسخة الأصلية في دار العلوم للمخطوطات في القاهرة فزال بذلك الصَّعب والحمد لله .

---

(١) البرهان (٩٧) .

وأسأل الله سبحانه أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل ، وأن يوفقني في إخراج هذا البحث على الوجه اللائق به ليكون علماً نافعاً أبتغي به وجه الله.

أولا : أسباب اختيار الموضوع وأهميته :

إنَّ أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع يمكن إيجازها فيما يأتي :

١) أهمية هذا الموضوع لتعلُّقه بتفسير كتاب الله تعالى الذي تعبدنا بتلاوته وفهمه وتدبره والوقوف عند حدوده ، قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص : ٢٩] ، وقال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد : ٢٤].

٢) مكانة المؤلف ، والقيمة العلمية للكتاب ، حيث يعدُّ المؤلف من العلماء الأفذاذ الذين تبحروا في شتى العلوم ، وقيمة الكتاب العِلمية بين كتب التفسير بالمأثور ، وجودة عرض المؤلف حيث سيتبين ذلك في المنهج حيث تفسيره بالقرآن والسنة وذكره للقراءات.

٣) المساهمة في إخراج تراثنا الإسلامي ، وكتاب (ينبوع الحياة) لابن ظفر من هذا التراث الثمين.

٤) إنَّ المؤلف في تفسيره (ينبوع الحياة) يذكر الأحاديث بدون سند أو حكم ويورد أقوالاً كثيرة غير منسوبة لأصحابها مثل (قيل) (قال غيره) مما يجعل الباحث يتوق إلى معرفة سندها وحكمها وأصحابها ، فالبحث عن ذلك يحتاج للرجوع إلى كتب المفسرين والعلوم ذات الصلة من كتب الأحاديث والآثار ، مما يعطي الباحث فرصةً لتوسُّعه في هذه العلوم والمعارف ، وتنمية معارفه ، وزيادة علمه ، وسعة اطلاعه .

ثانيا : الدراسات السابقة :

دُرِس منهج المؤلف من قِبل الدكتور صالح بن عبدالرحمن الفايز، الأستاذ المشارك بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، رسالة ماجستير عام ١٤١٠هـ بعنوان: (ابن ظفر الصقلي ومنهجه في التفسير من خلال كتابه الينبوع).

ثم بعد ذلك أخذت كوكبة من الباحثات وطالبات العلم المخطوط تحقيقاً ودراسة وفيما يلي بيان ذلك :-

١- سجلت الباحثة : فهمية سعد العتيبي (من أول سورة البقرة إلى آية ٨٢) رسالة دكتوراه بكلية العلوم والآداب ببريدة عام ١٤٣٠هـ.

٢- سجلت الباحثة : ريم ناعم الراشد (من الآية ٩٤ إلى ١٧٢ من سورة البقرة) رسالة ماجستير في جامعة الأميرة نورة بالرياض.

٣- سجلت الباحثة : بشرى العنزي الجزء (من أول سورة آل عمران إلى الآية ٨٢ من نفس السورة) رسالة ماجستير بجامعة الأميرة نورة بالرياض عام ١٤٢٩هـ.

٤- سجَّلت الباحثة: سلمى محمد الشامخ (من الآية (٨٣) من سورة آل عمران إلى آخر السورة) رسالة ماجستير بكلية العلوم والآداب ببريده.

٥- سجلت الباحثة : حصة التويجري (سورتي النساء والمائدة) لرسالة الدكتوراه بجامعة الأميرة نورة بالرياض عام ١٤٢٧هـ.

٦- تحقيق ودراسة (سورة الأنعام) للباحثة: فاطمة اللاحم ، رسالة ماجستير مسجلة بكلية العلوم والآداب ببريدة عام ١٤٢٨هـ.

٧- تحقيق ودراسة (سورتي الأنفال والتوبة) للباحثة: سناء سعداوي،

رسالة دكتوراه مسجلة بكلية التربية للبنات بجدة – جامعة الملك عبد العزيز – عام ١٤٢٧هـ.

٨- سجلت الباحثة: منوه عايض الرحيلي العنزي (من سورة الرعد إلى سورة الإسراء) رسالة ماجستير في جامعة الأميرة نورة بالرياض عام ١٤٣٠هـ.

٩- تحقيق ودراسة الجزء (من الآية (٩٧) من سورة طه إلى آخر سورة المؤمنون) للباحثة : مزنة الزميع ، رسالة دكتوراه مسجلة بكلية الآداب بالرياض عام ١٤٢٧هـ.

١٠- تحقيق ودراسة الجزء (من سورة الأحقاف إلى سورة الواقعة) للباحثة: منيرة السعوي – رسالة دكتوراه مسجلة بجامعة الأميرة نورة بالرياض عام ١٤٢٦هـ.

١١- تحقيق ودراسة الجزء (من سورة الحديد إلى سورة التحريم) للباحثة: منيرة العبدان ، رسالة دكتوراه وقد نوقشت بجامعة الأميرة نورة بالرياض عام ١٤٢٦هـ.

١٢- تحقيق ودراسة (جزء تبارك) للباحثة: نوال الثويني ، رسالة دكتوراه ، وقد نوقشت بجامعة الأميرة نورة بالرياض عام ١٤٢٩هـ.

١٣- تحقيق ودراسة (جزء عم) للباحثة : أمل الربيش ، رسالة دكتوراه ، وقد نوقشت بجامعة الأميرة نورة بالرياض عام ١٤٢٩هـ.

ثالثا: منهجي في الدراسة والتحقيق :

يعتمد البحث على المناهج التالية :

١ - المنهج التاريخي :

ويظهر ذلك في دراسة عصر المفسِّر وحياته ؛ من حيث اسمه ونسبه ومولده ونشأته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ووفاته.

٢ - المنهج الاستقرائي :

ويتمثَّل في تتبع جميع ما أورده المؤلف في الجزء المراد تحقيقه ، وفهم ألفاظ المؤلف ، ومعرفة أسلوبه ومنهجه في التفسير ، مع العزو والتوثيق قدر الإمكان.

٣- المنهج التحليلي النقدي :

- صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف ، ومنهج المؤلف في كتابه ، والمصادر التي استقى منها مادته العلمية ، والحكم على الأحاديث التي أوردها المؤلف من خلال كلام أهل العلم .

- تتبع المسائل الفقهية والعقدية ، وبيان مذهب أهل السنة والجماعة فيها.

- توثيق النقول والإحالات والقراءات الواردة في النص ما أمكن ذلك.

رابعا : منهجي في كتابة البحث :

لقد اتبعت المنهج الآتي في تحقيق تفسير سورة الأعراف من هذا الكتاب :

أولاً : ما يتعلَّق بالناحية الشكلية للنص ، فقد قمت بالآتي :

١ - نسخت الكتاب بالرَّسم المعاصر ، مراعِية القواعد الإملائية الحديثة مع استخدام علامات الترقيم المصطلح عليها حديثاً ما استطعت .

٢ - ضبطت الألفاظ التي يقع في قراءتها لبس بالشكل .

٣- وضعت الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾مع كتابتها بالرسم العثماني كما هو في المصحف .

٤ - ووضعت الأحاديث بين علامتي تنصيص هكذا " ".

ثانياً : قمت بتخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية ، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزو الحديث إلى صحيح البخاري ومسلم ، أما ما كان في غيرهما فإني خرَّجته من كتب السنة الأخرى مع الحرص على بيان درجته ، وذلك بإيراد ما جاء من كلام المحدثين في بيان درجاتها صحة وضعفاً ما أمكن ذلك ، وكثيراً ما أعتمد تصحيح السابقين أو تضعيفهم ، وإلا اعتمدت رأي المعاصرين كالشيخ الألباني رحمه الله .

ثالثاً : عزوت الأقوال إلى قائليها ، ووثَّقت النصوص والنقول من مصادرها ما أمكن ، مع ملاحظة الأقوال التي لم أجدها في كتب أصحابها فإني خرَّجتها من كتب التفسير الأصول التي تحوي هذه الأقوال ؛ كتفسير الطبري وغيره.

رابعاً : قمت بعزو الأبيات الشعرية الواردة في النص إلى قائليها مع ضبطها بالشكل وتخريجها من دواوينهم ما أمكن ، وإلا فمن أقرب المصادر والمراجع الشعرية والأدبية التي ورد فيها الشعر .

خامساً : علَّقت على كلام المؤلف حسب الحاجة بما يزيد الفائدة ويوضح المقصود من خلال أقوال المفسِّرين قديماً وحديثاً.

سادساً : قمت بالترجمة للأعلام الذين ورد ذكرهم في النصِّ ترجمةً موجزة ، ما عدا المشهورين من الصحابة رضي الله عنهم ، وغيرهم .

سابعاً: عرَّفت بالفرق والطوائف والأماكن والبلدان الواردة في النص بإيجاز.

ثامناً : بيَّنت معاني الألفاظ الغريبة والغامضة الواردة في النص.

تاسعاً: قمت بإرجاع إحالات المؤلف إلى رقم الجزء والصفحة من المخطوط ما أمكن ذلك ، أو الإشارة إلى رقم الآية واسم السورة التي ورد فيها المعنى لافتقادي لأجزاء من المخطوط وعدم التمكن من العثور عليها.

عاشراً : أرجأت ذكر البيانات المتعلِّقة بالمصادر والمراجع إلى الفهرس المخصص لها حرصاً على عدم تضخُّم الحواشي.

أحد عشر : ألحقت البحث بفهارس تفصيلية تيسِّر للقارئ المطَّلع على البحث الوصول إلى ما يريد من البحث .

خامساً: خطة البحث :

يشتمل هذا البحث على مقدمة وقسمين وخاتمة ثمَّ الفهارس .

فأما المقدمة فذكرت فيها النقاط الآتية:

أولاً :مقدمة لموضوع البحث.

ثانياً : أسباب اختيار الموضوع وأهميته.

ثالثاً : الدراسات السابقة.

رابعاً : منهجي في البحث.

خامساً : خطة البحث.

القسم الأول : الدراسة : وفيه فصلان :

الفصل الأول : دراسة حياة المؤلف ، وفيه ثلاثة مباحث :

❖ **المبحث الأول** : عصر ابن ظفر . ***وتحته مطلبان*** :

- **المطلب الأول** : الحالة السياسية في عصره .

- **المطلب الثاني** : الحالة العلمية .

❖ **المبحث الثاني** : ترجمة ابن ظفر ، ***وتحته ثلاثة مطالب*** :

- **المطلب الأول** : مولده ونشأته وصفاته.

- **المطلب الثاني** : اسمه ونسبه ولقبه وكنيته ووفاته.

- **المطلب الثالث** : عقيدته ومذهبه من خلال تفسيره.

❖ **المبحث الثالث** : عن مكانة ابن ظفر العلمية ، ***وتحته خمسة مطالب*** :

- **المطلب الأول** : رحلاته واشتغاله بالعلم.

- **المطلب الثاني** : شيوخه الذين تأثر بهم.

- **المطلب الثالث** : تلاميذه الذين أثر فيهم.

- **المطلب الرابع** : آثاره.

- **المطلب الخامس** : ثناء العلماء عليه.

الفصل الثاني : **دراسة كتاب (ينبوع الحياة) ، وفيه خمسة مباحث :**

❖ **المبحث الأول** : تحقيق اسم الكتاب.

❖ **المبحث الثاني** : توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

❖ **المبحث الثالث** : منهج المؤلف في الكتاب ومصادره.

❖ **المبحث الرابع** : مكانته العلمية وتحته ثلاثة مطالب :

- **المطلب الأول** : تأثيره فيمن بعده.

- **المطلب الثاني** : خصائص الكتاب.

- **المطلب الثالث** : الملاحظات على الكتاب.

❖ **المبحث الخامس** : وصف النسخة المعتمدة وعرض نموذج لها.

القسم الثاني : التحقيق :

وفيه تحقيق مخطوط ((ينبوع الحياة)) تفسير سورة الأعراف .وطبقت فيه البنود التي أسلفت ذكرها تحت عنوان : منهجي في إعداد البحث .

ـ الفهارس : وتشتمل على الفهارس التالية :

١- **فهرس الآيات القرآنية مرتبة حسب ترتيب المصحف.**

٢- **فهرس الأحاديث النبوية مرتبة حسب حروف المعجم.**

٣- **فهرس الأعلام مرتبة حسب حروف المعجم.**

٤- **فهرس الأشعار مرتباً حسب حروف المعجم.**

٥- **فهرس الغريب مرتباً حسب حروف المعجم.**

٦- فهرس الطوائف والفرق مرتبة حسب حروف المعجم.

٧- فهرس الأماكن والبلدان مرتبة حسب حروف المعجم.

٨- فهرس القبائل .

٩- فهرس المصادر والمراجع التي رجعت إليها في تحقيق المخطوط ودراسته.

١٠- فهرس الموضوعات.

القسم الأول

دراسة كتاب ينبوع الحياة ومؤلفه

وفيه فصلان :

الفصل الأول: دراسة حياة المؤلف .

الفصل الثاني: دراسة كتاب : (ينبوع الحياة).

الفصل الأول :

دراسة حياة المؤلف (ابن ظفر الصقلي)

وفيه ثلاثة مباحث :

❖ **المبحث الأول** : عصر ابن ظفر . **وتحته مطلبان** :

- **المطلب الأول** : الحالة السياسية في عصره .
- **المطلب الثاني** : الحالة العلمية .

❖ **المبحث الثاني** : ترجمة ابن ظفر ، **وتحته ثلاثة مطالب** :

- **المطلب الأول** : مولده ونشأته وصفاته.
- **المطلب الثاني** : اسمه ونسبه ولقبه وكنيته ووفاته.
- **المطلب الثالث** : عقيدته ومذهبه من خلال تفسيره.

❖ **المبحث الثالث** : عن مكانة ابن ظفر العلمية ، **وتحته خمسة مطالب** :

- **المطلب الأول** : رحلاته واشتغاله بالعلم.
- **المطلب الثاني** : شيوخه الذين تأثر بهم.
- **المطلب الثالث** : تلاميذه الذين أثر فيهم.
- **المطلب الرابع** : آثاره.
- **المطلب الخامس** : ثناء العلماء عليه.

❖ **المبحث الأول : عصر ابن ظفر .**

- **المطلب الأول** : الحالة السياسية في عصره .

عاش ابن ظفر في القرن السادس الهجري في الفترة ما بين (٤٩٧ - ٥٦٥هـ) والتي تعدُّ من أخطر الفترات التي مرَّ بها العالم الإسلامي ؛ بداية من ظهور الفرنج والصراع معهم ، ونهاية بظهور التتار واستيلائهم على معظم بلدان المسلمين ، وكانت البلاد الإسلامية قد انقسمت إلى دويلات كثيرة .

وأهمّ ما يميِّز هذه الفترة : ضعف الدولة العباسية ضعفاً جعل الخلفاء ألعوبة بيد السلاطين من السلاجقة[١] ، لدرجة أنهم يأسرون خليفة [٢]، ويخلعون خليفة [٣]، واستبدُّوا بتصريف الأمور ، ووسَّعوا من رقعة دولتهم ، وأخضعوا لهم كثيراً من البلاد ، واستمرُّوا على ذلك حتى وفاة السلطان مسعود [٤].

وفي هذه الفترة ضعف سلطان الدولة الفاطمية الشيعية المتمركزة في مصر ، حتى انتهت على يد الأيوبيين [٥].

---

(١) **السلاجقة** : مجموعة من القبائل التركية ، أخذت تفارق موطنها الأصلي – أقصى سهول التركستان– على شكل جماعات ، واستقرَّت في بلاد ما وراء النَّهر ، وعرفوا بهذه التسمية نسبة إلى زعيمهم سلجوق ، الذي أسلم واعتنق المذهب السني . انظر: نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية (٤١) ، وتاريخ الإسلام (٤/ ١) .

(٢) هو المسترشد بالله الفضل بن أحمد ، وكان ذلك سنة : (٥٢٩هـ) . انظر: الكامل في التاريخ (٨/ ٣٤٧) ، والبداية والنهاية (١٢/ ٢٠٧) .

(٣) وهو الراشد بالله ، ابن المسترشد بالله ، وكان ذلك سنة (٥٣٠هـ) . انظر: الكامل في التاريخ (٨/ ٣٥٤) ، والبداية والنهاية (١٢/ ٢١٠) .

(٤) هو مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، توفي سنة (٥٤٧هـ) . انظر: البداية والنهاية (١٢/ ١٣٠) ، وتاريخ الإسلام (٤/ ٥٣-٥٤) .

(٥) وكان ذلك على يد صلاح الدين الأيوبي الذي ثبت أقدامه بمصر ، وأزال المخالفين له ، وأضعف
=>

ومن جهة أخرى تدافعت موجات الصليبية بتعصُّبها ضدَّ الإسلام والمسلمين ، يقودها القسس والرهبان الطغاة في حروب صليبية استمرت أكثر من قرنين من الزمان (٤٩٠ ـ ٦٩٠) هـ ، أي أنهم ظلوا مائتي سنة يحاربون الشام ومصر[١].

وفي الفترة التي أقام بها ابن ظفر بين حلب وحماة ، حمل لواء الجهاد أمير الموصل ، عماد الدين زنكي الذي كوَّن له ملْكاً واسعاً بين الجزيرة العراقية والشام، فقد أخضع حلباً ، وحماة ، وحمصاً ، وبعلبك ، وأقام في سورية الداخلية دولة قوية البنيان يحميها جيش قوي ، ثم اندفع إلى معقل الصليبين الأول في الرها وسروج ، فحاربهم وأسقط المدينة سنة ٥٣٩هـ وظل يواجه الصليبين حتى وفاته عام ٥٤١ هـ[٢].

وكذلك الحال بالنسبة لدولة المرابطين بالمغرب والأندلس ؛ ففي الوقت الذي كانت دولة المرابطين تجاهد النصارى وتدرأ خطرهم عن الأندلس ؛ ظهرت حركة الموحدين في المغرب على يد محمد بن تومرت ، حيث انتهى حكم المرابطين على يد الموحدين[٣].

= سلطان الخليفة الفاطمي العاضد ، وبموته سنة (٥٦٧هـ) تولى صلاح الدين الحكم ، وانتهت الدولة الفاطمية . انظر : الكامل في التاريخ (٩/ ١١) ، البداية والنهاية (١٢/ ٢٦٤) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٩٣) .

(١) انظر : خطط الشام ـ محمد كرد علي (٢/ ١١٣) والتاريخ الإسلامي والحضارة العربية (١/ ٣٠٣).

(٢) انظر : البداية والنهاية لأبن كثير (١٢-٢٠٤-٢٣٨-٢٤٠) وحسن المحاضرة للسيوطي (٢/ ١٣٠) والتاريخ الإسلامي والحضارة العربية (٢/ ١٦٢) .

(٣) وذلك سنة ٥٤٢هـ انظر الكامل في التاريخ (١١/ ١١٧) والبداية والنهاية (١٢/ ١٨٦) وجهود =

وكما أسلفنا القول ؛ فإنَّ العالم الإسلامي شهد في تلك الفترة مناوشات وحروباً مع الإفرنج تركَّزت على بلاد الشام والأندلس والشمال الإفريقي[١]، ولكن رغم ذلك خرج من هذه الحروب علماء مسلمون أكثر قوة وصبراً وثباتاً في طلب العلم والدعوة إليه ونشره وكان منهم ابن ظفر الصقلي.

=

علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين د. محمد أبا الخيل ص٤٤.

(١) راجع أحداث تلك الفترة بالتفصيل في الكامل في التاريخ (١١-١٢٠) والبداية والنهاية (٢/ ١٦٣)، (٦/ ٦٧٨).

- **المطلب الثاني** : الحالة العلمية .

على الرغم من سوء الأوضاع السياسية في تلك الفترة وكثرة الحروب ، فإن الحركة العلمية نشطت نشاطاً كبيراً ، وذلك نتيجة لاهتمام الخلفاء والسلاطين الذين كانوا على درجة كبيرة من العلم والثقافة حيث حرصوا على استقطاب أرباب الفكر وحملة القلم من علماء وأدباء ليستفيدوا منهم ، وليقنعوا الناس بآرائهم وأقوالهم[١].

والتأليف يعدُّ من أهم مظاهر الحركة العلمية في هذا العصر ، وهو وإن غلب عليه طابع الجمع والتلخيص والشرح فإنَّ ذلك لا يخلو من إبداع في إثراء الناحية العلمية في ذلك الوقت.

ويعدُّ ابن ظفر من جملة العلماء الذين شاركوا في إثراء العلوم الإسلامية ، حيث تولى وظيفة التدريس في عدَّة أماكن ، واعتنى بالتصنيف في عدة علوم منها: علوم التفسير والفقه واللغة وغيرها ، ويرجع ازدهار الحركة العلمية في هذا القرن لجملة من الأسباب منها :

١ - **اهتمام الملوك والأمراء بالعلماء** وتشجيعهم للعلم ولطلابه وشيوخه وإقامة المدارس العلميةفي كلِّ فنون العلم تقريباً ، واستقطابهم أرباب الفكر وحملة القلم من العلماء والأدباء ليستفيد الناس منهم [٢].

فالفاطميون مثلاً اتخذوا من قصورهم مجالس للعلماء ، وأكثروا من تنظيم الدروس لإقناع الناس بدعوتهم ، وبنوا دور العلم ، وأشادوا المكتبات ليجعلوا

---

(١) تاريخ الإسلام (٤/ ٤٢٠) .

(٢) انظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي (٢ / ٥٦٠) ، تاريخ الإسلام السياسي والديني (٤ / ٤٢٠) .

من القاهرة مركزهم السياسي والعلمي ليتفوَّق على عاصمة الخلافة العباسية ببغداد[١].

وفي المغرب والأندلس ازدهرت الحركة العلمية – أيضاً – مع ازدياد الصلات الثقافية بين الأندلس والمشرق نتيجة توثيق الدولة المرابطية علاقتها بالخلافة العباسية ، واهتمَّ المرابطون والموحِّدون من حكام وولاة وغيرهم بالعلم وأهله ؛ فشجعوا الثقافة وقرَّبوا العلماء[٢].

وكذلك الوضع في الشرق حيث السلاجقة الذين فتحوا المدارس وأشادوا المكتبات[٣].

٢- **رحيل العلماء إلى شتى أرجاء العالم الإسلامي** عندما شعروا بعدم الاستقرار نتيجة الفتن والاضطرابات والنزاعات الداخلية ، بل وازدادت رحلات العلماء عن البلاد عندما رحل ابن ظفر من المهدية[٤] إلى صقلية[٥] بعدما سقطت في أيدي الفرنجة ، وكذا رحيله إلى حماة بعدما اعتدى الشيعة على كتبه ومؤلفاته فسرقوها في حلب.

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٤٣١) .

(٢) قيام دولة المرابطين الحسن محمود ص ٤٢٩ .

(٣) تاريخ الإسلام (٤/ ٤٢٠) .

(٤) **المهدية** : مدينة تقع في تونس بقرب القيروان على ساحل البحر المتوسط، وقد بناها المهدي سنة ٣٠٠هـ وجعلها قاعدة له ، ودار مملكته ، وهي جزيرة متصلة بالبحر، واستولى عليها الفرنج سنة ٥٤٣هـ . انظر: معجم البلدان (٥/ ٢٢٨) .

(٥) **صقلية** : جزيرة مشهورة بالمغرب بين إفريقية والأندلس ، قال ابن خلكان : هي في بحر المغرب ، قرب إفريقية ، وهي مشتملة على قرى كثيرة . انظر: تاج العروس (٢٩/ ٣١٨) ، وتعتبر جزيرة صقليّة حلقة اتصال سياسي وحضاري بين إفريقيا وأوروبا لقربها من الساحل التونسي .

وبذلك التنقل للعلماء أوجدوا حركة علمية قوية ، فكان عصر المؤلف عصر تأليف الموسوعات العظيمة ؛ **ككتاب عارضة الأحوذي في شرح الترمذي** للحافظ أبي بكر بن العربي[١] .

وكتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ، أملاه ابن ظفر من لفظه بقرطبة في عدة مجالس ، وكتاب الحوادث والبدع [٢] .

وكتاب الكبير في مسائل الخلاف ، والمختصر في فروع المالكية لأبي بكر الطُّرطُوشي[٣]، وغيرها من الموسوعات والمؤلفات.

ولهذا ازدهر العلم وزخر العصر بفحول الشعراء والأدباء والعلماء ، وهم في كل فن كثيرون وفي التفسير برز الكثير ومنهم :

١ - **إبراهيم بن علي بن الحسن الإمام أبو إسحاق الشيباني الطبري**[٤]إمام في المذهب والفرائض والتفسير ، ولي قضاء مكة توفي سنة ٥٢٣هـ.

٢ - **أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن أفلح بن زرقون بن سحنون**[٥].المقرئ كان حافظاً ، محدثاً مفسراً ، نحوياً ، توفي سنة ٥٤٢هـ.

٣- **الحسن بن مسعود البغوي**[٦]، الفقيه ، الشافعي ، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه وله من التصانيف : (معالم التنزيل في التفسير) ، و (التهذيب

---

(١) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢٩٦/ ٢٩٧) .

(٢) انظر : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي ص٩٢، ومعجم المؤلفين (١٠/ ٤٢) .

(٣) بغية الملتمس ١٣٥.

(٤) طبقات المفسرين للسيوطي (١٠) .

(٥) طبقات المفسرين ص (١٣) .

(٦) طبقات المفسرين للسيوطي (٣٨) ، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٦١) .

في الفقه) ، توفي سنة ٥١٦هـ.

٤- **محمود بن عمر بن محمد الزمخشري**[١]، أبو القاسم ، يلقب : جار الله ، النحوي المفسِّر المعتزلي ، كان واسع العلم غاية في الذكاء ، وجودة القريحة ، وهو صاحب (الكشاف) في التفسير ، و(الفائق في الحديث) ، و (المفصَّل في النحو) توفي سنة ٥٣٨هـ.

(١) بغية الوعاة (٢/ ٢٧٩) ، طبقات المفسرين للسيوطي (١٠٥) .

❖ **المبحث الثاني** : ترجمة ابن ظفر ، **وتحته ثلاثة مطالب** :

- **المطلب الأول** : مولده ونشأته وصفاته .

مولده :

اختلفت كتب السير والأعلام في مكان ولادة الشيخ مع اتفاقهم على تاريخ مولده ، فذكرت معظم المصادر التي أرخت لحياة ابن ظفر أنه ولد بجزيرة صقلية، ونشأ بمكة[١].

وذكرت مصادر أخرى خلاف ذلك ، أنه ولد بمكة ونشأ بصقلية [٢]، وكانت ولادته في شهر شعبان سنة سبع وتسعين وأربعمائة[٣].

قال السيوطي : ولد ابن ظفر بمكة[٤].

وقال الصفدي : الصقلي ، "حجة الدين أبو عبدالله أحد الأدباء الفضلاء، ولد بصقلية ، ونشأ بمكة" [٥] .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: أصله من مكة[٦].

---

(١) انظر : كشف الظنون (٦/ ٧٧) والوافي بالوفيات ، للصفدي (١/ ١٤١) وهدية العارفين (٢/ ٩٦) ووفيات الأعيان (٤/ ٣٩٥) ومعجم الأدباء (٥/ ٤٤٢) ومعجم المؤلفين (٣/ ٤٥٦) والأعلام.

(٢) انظر : العقد الثمين (٢/ ٣٤٥) ولسان الميزان (٥/ ٤٢٠) وبغية الوعاة (١/ ١٤٢) ، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (٦/ ١٦٠).

(٣) انظر : مفتاح السعادة (١/ ١٨٤،١/ ٢٥٣)، وكشف الظنون (٦/ ٧٧)، والعقد الثمين (٢/ ٣٤٥) وهدية العارفين (٢/ ٩٦) ، ومعجم المؤلفين(٣/ ٤٥٦٩)، والأعلام (٦/ ٢٣٠).

(٤) انظر : بغية الوعاة في طبقات الغويين والنحاة (١/ ١٤٣،١٤٢) ، وروضات الجنات في أحوال العلماء والسادات للأصبهاني (٨/ ٣٤).

(٥) انظر: الوافي بالوفيات (١/ ١٤٢،١٤١)، وسير أعلام النبلاء، (٢/ ٥٢٢)، ومفتاح السعادة، (١/ ٢٣٤،٢٣٣).

(٦) لسان الميزان، (٥/ ٣٧٢،٣٧١).

وقال الزركلي: (ابن ظفر الصقلي المكي، أبو عبد الله، ولد في صقلية، ونشأ بمكة) [١].

نشأته:

نشأ ابن ظفر في مكة التي كانت مقصد طلاب العلوم والمعارف المختلفة. وقد كان لهذه البيئة العلمية التي نشأ فيها ابن ظفر أثر عظيم في توجيهه نحو العلم، لأنَّ الطفل – كما يقول علماء الاجتماع يولد صفحة بيضاء، يشحنها المجتمع بما شاء من عادات وتقاليد وعلوم، وتلعب خبرات الطفولة دوراً كبيراً جداً في صياغة مستقبل سلوك الفرد، لأنها تترك آثاراً مستديمة في شخصيته[٢].

ولا شك أنَّ للبيئة أثرها في نفوس أبنائها، وذلك أنَّ الإنسان مرتبط أشدَّ الارتباط بالوسط الذي يعيش فيه، فهو كائن حي مدني بطبيعته[٣]، يتفاعل مع محيطه، فيؤثر فيه.

وكان الشيخ شغوفاً بتحصيل العلوم والمعارف ؛ لكن كان فقيراً على عادة كثير من أهل العلم الذين يؤثرون حياة الآخرة على الدنيا، ويذكر بعض المؤرخين أنه قد وقعت فتنة كبرى بين أهل السنة والجماعة، والشيعة، ونهبت كتبه فيما نهب بها فانتقل إلى حماة، فلقي فيها قبولاً، فسكن بها ، وعمل بديوانها ، وأجري له راتب، وكان دون الكفاف[٤]، وأنه لم يزل يكابد الفقر إلى أن مات، حتى قيل: إنه زوَّج ابنته في حماة بغير كفء من أجل الحاجة والضرورة.

---

(١) الأعلام (٦/ ٣٣٠) .

(٢) انظر : مدخل إلى علم النفس الاجتماعي ، د. مصطفى خليل الشرقاوي ص (١٨١-١٨٤).

(٣) انظر : مقدمة ابن خلدون ، لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ص (٣٠٥).

(٤) انظر : وفيات الأعيان (٣/ ٣٩٧) وبغية الوعاة (١/ ١٤٢) وكشف الظنون (٦/ ٧٧).

صفاته :

اتَّصف رحمه الله بالأخلاق الفاضلة ، حيث ذكرت كتب التراجم أنه اتَّصف بالزهد والورع ، والتقلل من الدنيا ، وعدم التعلُّق بها مع شدَّة فقره .

قال الذهبي : (وكان له نظم وفضائل) [١].

وقال الفاسي : (وهو مشهور بالخير والعلم والعبادة) [٢].

وكان قصير القامة، دميم الخلقة غير صبيح الوجه، غير أنَّ الذهبي ذكر أنه كان لطيف الشكل.

كما كان – مع هذا – صالحاً ورعاً زاهداً، مشتغلاً بما يعنيه، وكان متضلِّعاً في مذهب مالك ومذهب الشافعي ، درسه بالشام ، وكان واعظاً ، متكلِّماً، شاعراً[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٢٣).

(٢) القصد الثمين (٢/ ٣٤٤).

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٢٢).

- **المطلب الثاني** : اسمه ونسبه ولقبه وكنيته ووفاته.

اسمه ونسبه[١]:

محمد بن عبدالله بن محمد بن ظفر المغربي المكـي الـصقلي[٢]المـالكي الفقيـه ، حجَّة الدين ، أبو جعفر النحوي اللغوي[٣].

لقبه[٤]:

ويلقَّب بحجة الدين ، وشمس الدين ، وبرهان الدين ، ففي مفتاح السعادة: ابن ظفر ، وهو أبو عبدالله محمد بن أبي محمد بن ظفـر الـصقلي المنعـوت بحجـة الدين[٥].

وقال الجلال السيوطي بأنه : محمد بن عبدالله بن محمد بن ظفر المكي الصقلي حجَّة الدين[٦]أبو جعفر النحوي اللغوي[٧].

---

(١) انظر : بغية الوعاة (١/ ١٤٢) ، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، (٦/ ٧٦) والأعلام للزركلي (٦/ ٢٣٠) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٥٢٢) ، ووفيات الأعيان (٤/ ٣٩٥) ، والعقـد الثمين للفاسي (٢/ ٣٤٤) ، ولسان الميزان لابن حجر (٥/ ٤٢٠) ومعجم الأدباء للحموي (٥/ ٤٤٢).

(٢) **الصقلي** : بفتح الصاد المهملة ، والقاف ، وفي آخرها اللام ، وهذه النسبة إلى صـقلية وهـي جزيـرة من جزائر المغرب قريبة من القيروان –سبق التعريف بها – ، وينسب بأنه الصقلي لأنه كان أقـام بـصقلية من جزائر بحر المغرب مدة. انظر : الأنساب (٣/ ٥٤٩).

(٣) انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين ، والنحاة (١/ ٤٢).

(٤) **اللقب** : هو ما يسمى به الإنسان بعد اسمه العلم ، من لفظ يـدل عـلى المـدح أو الـذم لمعنـى فيـه . واللقب والكنية مشتركان في تعريف المدعو بهما ، ويفترقان في أن اللقب يفهم مدحاً أو ذماً ، والكنيـة مـا صدر بأب أو أم. انظر: لسان العرب مادة (لقب) ، ومغني المحتـاج إلى معرفـة معـاني ألفـاظ المنهـاج ، محمد بن الخطيب الشربيني (٤/ ٢٩٥) وتحفة المودود بأحكام المولود ، لابن القيم ص(١١٥).

(٥) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، لطاش كبرى زاده (١/ ٢٣٣) ، ووفيـات الأعيان (٤/ ٣٩٥).

(٦) انظر : وفيات الأعيان (٤/ ٣٩٥) دائرة المعارف الإسلامية ، للبستاني (٣/ ٩٩٥) .

(٧) انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١/ ١٤٢).

كنيته[(١)]:

اشتهر بأكثر من كنية ، فقد ذكر العلامة الذهبي في سير أعلام النبلاء بأنه يكنى : بـ أبي عبدالله [(٢)].

كما كناه البغدادي في هدية العارفين: بـ أبي جعفر[(٣)] ، وكني أيضاً بأبي هاشم ويكنى والده بـ أبي محمد[(٤)]، والأوَّل هو ما عليه الأكثر من المترجمين له .

وفاته :

اختلفت جلُّ المصادر وكتب السير والتاريخ أنه مات سنة ثمان وستين أو سنة سبع وستين وخمسمائة على اختلاف الأقوال ، وقيل: سنة خمس وستين وخمسمائة ، وهو القول الراجح ، في مدينة حماة [(٥)].

---

(١) **الكنية** : اسم يطلق على الشخص للتعظيم والتكريم كأبي حفص وأبي الحسن أو علامة عليه كـأبي تراب ، وهو ما كني به النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ أخذاً من حالته ، عندما وجده مضطجعاً إلى جدار المسجد وفي ظهره تراب. انظر: لسان العرب ، والمصباح المنير ، والمفردات ، والمعجم الوسيط مادة (كنى) ، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص (١٧) ، والكليات لأبي البقاء الكفوي (٣/ ١٩٢).

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٢٢).

(٣) انظر: هدية العارفين ، على هامش كشف الظنون (٢/ ٩٦).

(٤) انظر : معجم الأدباء (٥/ ٤٤٢) وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٢٢) ولسان العرب (٥/ ٤٢٠)، ووفيات الأعيان (٥/ ٤٩٥) والعقد الثمين (٢/ ٣٤٤) والأعلام (٦/ ٢٣٠) وتاريخ الأدب العربي (٦/ ١٦٠) ومعجم المؤلفين (٣/ ٤٥٦) ومفتاح السعادة (١/ ٢٥٣،١٨٤) ، وهدية العارفين (٢/ ٩٦).

(٥) انظر : بغية الوعاة (١/ ١٤٢) وكشف الظنون (٦/ ٧٦)، والأعلام (٦/ ٢٣٠) وتاريخ الأدب العربي (١/ ١٦٠) ، وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٢٢)، ووفيات الأعيان (٤/ ٣٩٥) والعقد الثمين (٢/ ٣٤٤) ولسان الميزان (٥/ ٤٢٠) ، ومعجم الأدباء (٥/ ٤٤٢).

- **المطلب الثالث** : عقيدته .

كان ابن ظفر أشعري المذهب ، سار على مذهب الأشاعرة في تأويل الصفات، ومن أمثلة ذلك ما تعرَّض له في صفة الاستواء حيث قال :

الاستواء : الاستيلاء ، فاستولى سبحانه على العرش المحيط به والكرسي وبما هو أعلم من مخلوقاته ، والكرسي مستول على السموات والأرضيين ، وما الله سبحانه أعلم به من مخلوقاته ، استولى الله سبحانه على العرش ، وما العرش اقتداراً عليه وقهراً وتصريفاً له ، ولا حاصل لقول من قال : الاستيلاء ينبئ عن تقدم فهو ضديهما ، وسيأتي هذا إن شاء الله مكرراً بفوائد زوائد[١] .

وما قاله في هذه المسألة يخالف ما عليه السلف الصالح .

ومثل تأويله لصفة الرحمن تأويله لصفة الرحمة حين قال : [**الرحمن، الرحيم، الرؤوف** : فرحمته ورأفته إنعامه ، كما أنَّ غضبهُ وسخطه انتقامه][٢] .

مذهبه :

كان الشيخ رحمه الله ينتسب إلى مذهب الإمام أبي عبدالله مالك بن أنس، حتى برع فيه وكان أحد الذين أثروا المكتبة الإسلامية في فقه السادة المالكية ومن كتبه في ذلك : "المنشي في الفقه" على مذهب مالك بن أنس والناظر في تفسيره يجد أن الشيخ كان ينقل عن الإمام مالك كثيراً ، ويحرر النقل عنه ، فيقول مثلاً : ولا يصح أن ينسب إلى مالك رحمه الله أنَّ ما قارب العورة المغلظة من الفخذ ليس بعورة ويكفي لستر العورة ثوب يصف حجمها لدقتها ، ولا ثوب لا يحجب البصر عن أبعاضها لخفته[٣] .

---

(١) انظر صفحة (١٦٠) .

(٢) انظر صفحة (٣٤٣) .

(٣) انظر صفحة (١٢٦) .

❖ **المبحث الثالث** : عن مكانة ابن ظفر العلمية ، **وتحته خمسة مطالب** :

- **المطلب الأول** : رحلاته وانشغاله بالعلم .

لقد رحل ابن ظفر من بلده صغيراً في طلب العلم فأكثر الترحال ، وتنَّقل في البلاد ، كما ذكر ذلك المترجمون له ، ومن هذه الرحلات :

رحلته إلى مكة : فقد ولد ابن ظفر بصقلية ، وتركها وهو في صغره متوجهاً إلى مكة فنشأ بها أول حياته.

رحلته إلى مصر[1]: ترك ابن ظفر مكة متوجهاً إلى مصر ، فدخلها وما يزال صبياً ، وتوجه إلى الأسكندرية ، حيث كانت مركزاً للعلم ، وملتقى كثير من العلماء ، فسمع فيها من العلماء ، وعلى رأسهم : أبو بكر الطرطوشي رحمه الله .

رحلته إلى المهدية : ترك الإسكندرية متوجهاً إلى مدينة المهدية ، ومكث فيها مدة ، وشهد الحروب التي دارت بين الأفرنج والمسلمين بها ، وأخذت من المسلمين ، فتركها حينئذ كما تركها غيره.

رحلته إلى الأندلس : انتقل ابن ظفر من المهدية إلى الأندلس وعندما وصل إليها سارع إلى العلماء وسمع منهم ، فقد كانت الأندلس زاخرة بالعلماء ، حيث لقي أبا بكر بن العربي ، وأبا مروان الباهي ، وأبا الوليد الدباغ ، وابن مسرة.

رحلته إلى صقلية : غادر الصقلي الأندلس متوجهاً إلى مكان ولادته صقلية حيث الحياة المستقرة ، وفيها اشتغل بالعلم والتأليف ، واتصل بواليها في تلك الفترة فأحبه وقربه ، وأهدى إليه الصقلي بعض مؤلفاته منها : (سلوان المطاع) الذي صنفه سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، وقد كتب في أول هذا

---

(١) انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين (١/ ١٤٢-١٤٣) وروضات الجنات (٨/ ٣٤).

الكتاب أن ملكاً حسن السيرة ، مظنون حسن السريرة ، أمرني أن أصنف له كتاباً يكون لهمومه شافياً ..... إلخ.

رحلته إلى الشام : ترك الصقلي بلده مرة أخرى متجهاً إلى الشام ، وفي طريقه مر بمصر ، ثم توجه إلى حلب وكان قد تقدم به السن ، فلما وصلها أقام بمدرسة (ابن أبي عصرون)[1] وصنَّف بها تفسيراً كبيراً ، ولما وقعت الفتنة بين الشيعة وأهل السنة ، خرج منها متوجهاً إلى حماة ، فصادف فيها قبولاً ، فسكن بها ودرس الفقه الشافعي بها ، وأجرى له راتب من ديوانها وكان دون الكفاف ، وصنف هناك تصانيفه ، وبقى فيها حتى مات ﷺ تاركاً علماً نافعاً ينفع الذين يأتون من بعده كما نفع هو بنفسه وعلمه الذين عاصروه.

---

(١) **مدرسة ابن أبي عصرون** : هي التي أنشأها العلامة فقيه الشام شرف الدين أبو سعيد عبدالله بن محمد بن هبة الله بن المطهر بن علي بن أبي عصرون التميمي ، أحد أئمة الشافعية واحد الأعلام الفضلاء، برع في القراءات والنحو والأصول والفقه وكانت وفاته سنة ٥٨٥هـ ، انظر: البداية والنهاية (٦/ ٨٦٤)، والعبر (٣/ ٩٠).

- **المطلب الثاني** : شيوخه الذين تأثَّر بهم .

تتلمذ ابن ظفر على أيدي الكثير من كبار علماء عصره الذين كان لهم دور ملحوظ في تكوين شخصيته العلمية ، وتوجيه مساره الثقافي والمعرفي ، ومن أبرز من أخذ عنهم ابن ظفر :

١ - **أحمد بن محمد بن سلفة ، الأصبهاني** ، صدر الدين ، أبو طاهر السلفي ، ولد سنة ٤٧٨هـ ، حافظ مكثر من أهل أصبهان . ومن تصانيفه : معجم مشيخة أصبهان ، ومعجم شيوخ بغداد ، وغير ذلك ، توفي بالإسكندرية سنة ٥٧٦هـ[(١)].

٢ - **محمد بن عبدالله بن محمد ، أبو بكر ، المعروف بابن العربي** ، ولد سنة ثمان وستين وأربعمائة ، حافظ متبحر ، وفقيه من أئمة المالكية ، بلغ رتبة الاجتهاد ، رحل إلى المشرق ، وأخذ عن الطرطوشي والإمام أبي حامد الغزالي ، ثم عاد إلى مراكش ، وأخذ عنه القاضي عياض وغيره .أكثر من التأليف ، وكتبه تدل على غزارة علم ، وبصر بالسنة . من تصانيفه :عارضة الأحوذي شرح الترمذي ، وأحكام القرآن ، والمحصول في علم الأصول ومشكل الكتاب والسنة ، توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة[(٢)].

٣- **محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي** ، أبو بكر الطرطوشي ، ويقال له ابن أبي رندقة : أديب ، من فقهاء المالكية الحفاظ ، من أهل طرطوشة ، بشرقي الأندلس ، تفقه ببلاده ، ورحل إلى المشرق سنة (٤٧٦) ،

---

(١) انظر : وفيات الأعيان (١/ ٣١) ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان (٨/ ٣٦١).

(٢) انظر : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص(١٣٦) ، الديباج المذهب لابن فرحون المالكي ، ص (٢٨١) ، الأعلام للزركلي (٧/ ١٠٦).

فحجَّ ، وزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان ، وأقام مدة في الشام ، وسكن الإسكندرية ، فتولى التدريس واستمر فيها إلى أن توفي ، وكان زاهداً لم يتشبث من الدنيا بشيء . من تصانيفه : سراج الملوك ، والتعليقة في الخلافيات ، وكتاب كبير عارض به إحياء علوم الدين للغزالي ، وبر الوالدين ، والفتن والحوادث والبدع ، ومختصر تفسير الثعلبي ، والمجالس في الرباط[١] .

٤- **أبو الوليد الدباغ** : هو الحافظ أبو الوليد يوسف بن عبدالعزيز بن عمر بن خيره اللخمي الأندلسي الأندي ، محدث الأندلس ، كان عارفاً بالحديث وطرقه ، وأسماء الرجال وأزمانهم وثقاتهم وضعفائهم لقيه ابن ظفر بالأندلس وسمع منه ، توفي سنة ٥٤٦ هـ[٢] .

وغير هؤلاء كثير ممن كان لهم أثر على ابن ظفر رحمه الله في مسيرته العلمية .

---

(١) انظر : وفيات الأعيان (١/ ٤٧٩) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقري التلمساني ، (١/ ٣٦٨) ، تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان (٣/ ١٠٨) ، بغية الملتمس ص (١٢٥).

(٢) العقد الثمين (٢/ ٣٤٦) ، طبقات المعسرين (٢/ ١٧١).

- **المطلب الثالث** : تلاميذه الذين أثَّر فيهم .

كان ابن ظفر من أذكياء أهل العلم رأساً في علوم الشريعة والعربية ،فلا جرم أن يقبل عليه كثير من الطلبة ينهلون من معارفه وعلومه ، وتخرج به كثير من أبناء عصره ، فمن أبرز تلاميذه :

١ - **عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة** ، فقيه حنبلي ، من أهل جماعيل من قرى نابلس بفلسطين ، رحل في طلب العلم إلى بغداد أربع سنين ثم عاد إلى دمشق . قال ابن غنيمة : (ما أعرف أحداً في زماني أدرك رتبة الاجتهاد إلا الموفق) ، وقال عز الدين بن عبدالسلام : ما طابت نفسي بالإفتاء حتى صار عندي نسخة من المغني للموفق ، ونسخة من المحلي لابن حزم .من تصانيفه : المغني في الفقه شرح مختصر الخرقي ، والكافي ، والمقنع ، والعمدة ، وله في الأصول روضة الناظر . توفي سنة عشرين وستمائة هـ[١].

٢ - **الحافظ الإمام أبو المواهب**[٢]الحسن بن أبي الغنائم هبة الله بن محفوظ بن حسن بن محمد بن حسن بن أحمد بن الحسين بن بصري الربعي التغلبي البلدي الأصلي الدمشقي المعدل ، محدث دمشق ومفيدها ، ولد سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، وكان كثير الترحال طلباً للعلم وكتب العالي والنازل وجمع وصنف ، وارتحل فسمع بحماة من ابن ظفر وبحلب من أبي طالب بن العجمي ، وبالموصل من الحسن بن علي الكعبي ، وسليمان بن محمد خميس ، وببغداد من هبة الله

---

(١) انظر : الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٦) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ص(١٣٣-١٤٦).

(٢) انظر : لسان الميزان (٥/ ٣٧٢).

الدقاق توفي سنة ست وثمانين وخمسمائة.

٣- **القاضي عمر بن علي بن الخضر** ، أبو المحاسن القرشي ، الزبيري الدمشقي[١] الحافظ ، قال ابن الدبيثي : فقيه ، حافظ عالم ، عني بالحديث ، وسمع بدمشق ، وحلب ، وحران ، والموصل ، والكوفة ، وبغداد ، والحرمين ، ورزق الفهم . سمع أبا الدرِّ الرومي ، وأبا الوقت ، وأبا محمد ابن المادح ، وخلائق . ونفذ رسولاً إلى الشام ، وولي قضاء الحريم ، ذكر ابن النجار أنه شهد عند قاضي القضاة أبي طالب روح بن أحمد الحديثي سنة ٥٦٦هـ ، فولاَّه القضاء بحريم دار الخلافة ، ثمَّ القضاء بربع سوق الثلاثاء ، روى عنه ابنه عبدالله ، وابن الحصري، مات في ذي الحجة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وله خمسون سنة.

---

(١) انظر : الكامل لابن الأثير (١١/ ١٨٨) ، شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي (٤/ ٢٥٤) ، والعبر في خبر من غبر ، للذهبي ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد (٤/ ٢٢٤) ، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ١٢٥).

- **المطلب الرابع** : آثاره العلمية .

أثرى ابن ظفر المكتبة الإسلامية بعدد كبير من المؤلفات التي انتشرت ، وكانت محطَّ أنظار الباحثين وعلماء المعرفة منها :

١ - ينبوع الحياة في التفسير[١]، أو الينبوع في تفسير القرآن[٢].

٢ - الأرجوزة في الفرائض والولاء[٣].

٣- أساليب الغاية في أحكام آية[٤].

٤ - الاشتراك اللغوي والاستنباط المعنوي[٥].

٥ - أعلام النبوة[٦].

٦ - إكسير كيمياء التفسير[٧].

٧- أنباء نجباء الأبناء[٨].

---

(١) وردت هذه التسمية في الوافي بالوفيات (١/ ١٤١) ، وهدية العارفين (٢/ ٩٦) ، وكشف الظنون (٦/ ٧٧) ، ولسان الميزان (٥/ ٤٢٠) ، ومعجم المؤلفين (٣/ ٤٥٦) ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان(٦/ ١٦٣).

(٢) وردت هذه التسمية في العقد الثمين (٢/ ٣٤٤) ، ووفيات الأعيان (٤/ ٣٩٦).

(٣) انظر : الوافي بالوفيات (١/ ١٤١)، هدية العارفين (٢/ ٩٦)، وكشف الظنون (٦/ ٧٧)، ومفتاح السعادة (١/ ٢٥٣)، وبغية الوعاة (٢/ ١٤٣) ، ومعجم الأدباء (٥/ ٤٤٣) .

(٤) انظر : كشف الظنون (٦/ ٧٧)، والوافي بالوفيات (١/ ١٤١) ، وهدية العارفين (٢/ ٩٦)، وبغية الوعاة (١/ ٤٤٣).

(٥) انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ١٠١) .

(٦) انظر : المصدر السابق (١/ ١٢٦).

(٧) ورد بهذه التسمية في الوافي بالوفيات (١/ ١٤١)، وبغية الوعاة (١/ ١٤٣).

(٨) انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ١٧١) ، ومقدمة كتاب (أنباء نجباء الأبناء) لابن ظفر الصقلي ، قدم له مصطفى بن المرحوم محمد القباني الدمشقي (أ-ب) وهو كتاب مطبوع ، على
=

٨- بيان الصور في الميقات[١].

٩- نصائح الذكرى[٢].

١٠- خير البِشَر بخير البَشَر[٣].

١١- حاشية على درة الغواص للحريري في اللغة[٤].

١٢- سلوان المطاع في عدوان الأتباع[٥].

١٣- فوائد الوحي الموجز إلى فرائد الوحي المعجز[٦].

١٤- المطوَّل في شرح المقامات[٧].

= ذمة السيد محمد هاشم ، تصحيح لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، بيروت منشورات دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م ،وانظر : المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ج٣ (ر _ ظ) ص (٥٣٧) جمع وإعداد وتحرير : د . محمد عيسى ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ١٩٩٣م.

(١) وهو مرتب على عشرين باباً يستعان به على معرفة الأوقات بالآلة ، انظر: كشف الظنون (١/ ٢٦١).

(٢) انظر : الوافي بالوفيات(١/ ١٤١).

(٣) أثبته حاجي خليفة في كشف الظنون ضمن مؤلفاته ابن ظفر (١/ ٧٢٧) وهو مطبوع . انظر : المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع (ر _ ظ) (٣/ ٥٣٧).

(٤) انظر : الوافي بالوفيات (١/ ١٤١).

(٥) في كشف الظنون بعنوان سلوان المطاع في عدوان الطباع ونسبه لابن ظفر ، وقال حاجي خليفة : أنه صنفه لبعض القواد بصقلية سنة٥٥٤ أوله : أن شكر الله سبحانه لأسنى الملابس الفاخرة ، وإن حمده لأعود بخيري الدنيا والآخرة ... إلخ (ثم ذيله في كراستين) ، ونظمه تاج الدين أبو عبدالله عبدالله بن علي السنجاري ت ٧٩٩هـ تسع وتسعين وسبعمائة وهو كتاب في قوانين الحكمة ، ونوادر أخبار السلاطين على لسان الطيور والوحوش وقد ترجم بالفارسية. انظر: كشف الظنون (٢/ ٩٨) وقد تم طبعه عدة مرات. انظر المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع (ر _ ظ) (٣/ ٥٣٨).

(٦) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٢٤٦).

(٧) وهو شرح مقامات الحريري ، الذي يسمى بالتنقيب على ما في المقامات من الغريب ، وذكر في أول =

١٥- مُلَحُ اللغة ، وهو فيما اتفق لفظه واختلف معناه[١].

١٦- معاتبة البريء على معاقبة البريء[٢].

١٧- الجنة في اعتقاد أهل السنة[٣].

١٨- القواعد والبيان مختصر في النحو[٤].

١٩- المنشئ في الفقه على مذهب مالك بن أنس[٥]، وغيرها من التصانيف التي أسهمت في صياغة الفكر الإسلامي في القرن السادس الهجري.

= شرحه لها أنه سمعها على السلفي بسماعه من الحريري ، قال محمد بن الذكوة المنذري : ونقلت ذلك من خطه ، وهو الشيخ علي بن المفضل القدسي ، ذلك فأنكره أشد إنكار ، وقال إن السلفي ما حدث بهذا الكتاب قط ، وقرأت في تاريخ ابن خلكان أن السلفي ما سمع المقامات ، وأنه مر بالبصرة والحريري يحدث بها فسأل عنه فقيل له : إن هذا الرجل جمع أحاديث ولفقها وشرع يحدث بها فلم يعرج عليه . انظر: لسان الميزان (٥/ ٣٧١-٣٧٢).

(١) انظر: معجم الأدباء (١٩/ ٤٩) ، الوافي بالوفيات (١/ ١٤٢) .

(٢) انظر : المصادر السابقة .

(٣) انظر: الوافي بالوفيات (١/ ١٤٢) ، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٢٤٧) .

(٤) انظر : المصادر السابقة .

(٥) انظر : معجم الأدباء (١٩/ ٤٨) ، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٤٦-٣٤٧) ، وفيات الأعيان (٤/ ٣٩٦) ، العقد الثمين (٢/ ٣٤٥) ، بغية الوعاة (١/ ١٤٢).

- **المطلب الخامس** : ثناء العلماء عليه.

أجمع كل من ترجم لابن ظفر أنه يتمتع بصفات حميدة فضلاً عن الإمامة في العلم والورع وحسن الخلق ، ويكفي المرء حمداً وسمعة أن تكون تلك الصفات فيه.

وصفه العلامة الذهبي بقوله : العلامة البارع حجَّة الدين[١].

وقال الداودي : المنعوت بحجة الدين ، أحد الأدباء ، صاحب التصانيف الممتعة[٢].

قال السيوطي : كان صالحاً ورعاً زاهداً مشتغلاً بما يعنيه ، وله شعر حسن ، ونعته بـ حجة الدين[٣] وكما نعته كذلك صاحب مفتاح السعادة[٤].

وقال الأصبهاني عنه : كان إمام وقته في التفسير والآداب ، وله التصانيف الحسنة ، والمجموعات المدونة[٥].

ووصفه ابن خلكان بقوله : أحد الأدباء ، الفضلاء، صاحب التصانيف الممتعة[٦] وغيرهم كثير ممن وصفوه بالصلاح والورع والزهد ، والعلم والعبادة وله أيضاً شعر حسن[٧].

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٢٢) .

(٢) انظر : طبقات المفسرين ، للسيوطي (١/ ١٨٨).

(٣) انظر : بغية الوعاة (١/ ١٤٢).

(٤) انظر : مفتاح السعادة (١/ ٢٣٣).

(٥) معجم الأدباء (٩/ ٤٨).

(٦) وفيات الأعيان (٢/ ٣٩٥).

(٧) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٧١).

الفصل الثاني :
دراسة كتاب ينبوع الحياة

وفيه خمسة مباحث :

❖ **المبحث الأول** : تحقيق اسم الكتاب .

❖ **المبحث الثاني** : توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه .

❖ **المبحث الثالث** : منهج المؤلف في الكتاب ومصادره .

❖ **المبحث الرابع** : مكانته العلمية . **وتحته ثلاثة مطالب** :

- **المطلب الأول** : تأثيره فيمن بعده .
- **المطلب الثاني** : خصائص الكتاب .
- **المطلب الثالث** : الملحوظات على الكتاب .

❖ **المبحث الخامس** : وصف النسخة المعتمدة وعرض نموذج عليها .

❖ **المبحث الأول** : تحقيق اسم الكتاب .

إنَّ هذا الكتاب الذي قمت بتحقيق جزء منه ، اسمه (ينبوع الحياة) وهو في تفسير القرآن العظيم.

والينبوع في اللغة : من نبع الماء إذا جرى من العين ، ويطلق على الجدول الكثير من الماء ، وكذلك على عين الماء[١] .

فقد جعل المؤلف حياة القلوب في معرفة القرآن ، وفهم معانيه وتدبر آياته وأحكامه وأسراره عن طريق التفسير لأنه يمدها بالحياة ، بمثابة ينبوع الماء الذي يمدُّ الأبدان بالحياة.

ولقد ثبت اسم الكتاب من عدة أوجه :

أولاً: أنَّ هذا الاسم وجد على جميع الأجزاء والنسخ ، كما ذكر الدكتور صالح الفايز عند دراسته لمنهج المؤلف[٢] .

ثانياً: أورد بعض العلماء نقولاً عن الكتاب منها :

الزركشي في البرهان حيث قال : ومن هنا أنكر ابن ظفر في الينبوع عدَّ هذا مما نسخ تلاوته قال : لأنَّ خبر الواحد لا يثبت القرآن . قال : وإنما هذا المنسأ لا النسخ[٣] .

وذكر ابن حجر في كتابه : العجاب في بيان الأسباب نقولاً كثيرة عنه ، وصرَّح باسم الكتاب ، فقد قال في أول سورة البقرة ، وحكى ابن ظفر في تفسيره

---

(١) اللسان : نبع (٣٤٥).

(٢) انظر : ابن ظفر الصقلي ومنهجه في التفسير . د. صالح الفايز ص (٦٣).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٦٧).

المسمى (ينبوع الحياة) ما نصه : قيل ذكر في كتب الله السالفة أنَّ علامة القرآن الموعود بإنزاله أن في أوائل سور منه حروفاً غير منظومة ، فنزل القرآن كما قيل لهم) [١].

ثالثاً : ثبوت اسم الكتاب في الكتب التي ترجمت لابن ظفر ، كما سيأتي في المبحث التالي.

(١) العجاب في بيان الأسباب (١/ ٣٤٧).

❖ **المبحث الثاني** : توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه .

لقد أثبتت الكتب التي ترجمت لابن ظفر تفسيره (ينبوع الحياة) ومنها: معجم الأدباء[١]، ووفيات الأعيان[٢]، والوافي بالوفيات[٣]، والعقد الثمين[٤]، ولسان الميزان[٥]، وبغية الوعاة[٦]، وطبقات المفسِّرين للداودي[٧]، ومفتاح دار السعادة[٨]، وكشف الظنون[٩]، والأعلام[١٠]، وتاريخ الأدب العربي[١١].

(١) (١٩/ ٤٨) .

(٢) (٤/ ٣٩٤) .

(٣) (١/ ١٤٢) .

(٤) (٢/ ٣٤٤) .

(٥) (٥/ ٣٧٢) .

(٦) (١/ ٤٢) .

(٧) (٢/ ١٧١) .

(٨) (٦/ ٢٣٠) .

(٩) (٢/ ٢٥٢) .

(١٠) (٦/ ٢٣٠) .

(١١) (٦/ ١٦٣) .

❖ **المبحث الثالث** : منهج المؤلف في الكتاب ومصادره ، **وتحته مطلبان** :

- **المطلب الأول** : منهج المؤلف في الكتاب .

فقد تبيَّن من خلال تحقيق جزء من الكتاب أنه غزير المادة العلمية إذ يعرض لأمور عديدة ، فقد اهتمَّ مؤلفه بالتفسير بالمأثور ، والقراءات ، وأكثر من الأحاديث النبوية ، وعرض بعضاً من الأحكام الفقهية ، وبعض علوم القرآن ، وتوسَّع في اللغة ، وتكلَّم عن بعض آيات العقيدة ، وأكثر من الشواهد الشعرية ، وإليك الأمثلة على ذلك :

أولاً : منهجه في التفسير بالمأثور :

١ - تفسير القرآن بالقرآن :

لقد كان المفسِّر كثيراً ما يستعين بآيات قرآنية ليوضح بها آيات أخرى ، "لأن ما أُجمل من القرآن في مكان فقد بسط في موضع آخر"[(١)].

وقال السيوطي في الإتقان : قال العلماء : من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن[(٢)].

ويأتي تفسير كتاب الله تعالى في المقام الأول بآيات الكتاب نفسها ، وهو ما يسمَّى بتفسير القرآن بالقرآن ، وقد أدرك الإمام ابن ظفر أهمية هذه الصلة بين آيات كتاب الله تعالى بعضها بالبعض الآخر ، ومن ضمن ذلك ما ذكره الإمام ابن ظفر في تفسيره في قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا ﴾ إلى قوله

---

(١) انظر : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص(٩٣).

(٢) انظر : الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ جلال الدين السيوطي (٤/ ٢٠٠) ، والبرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي (٢/ ١٧٥).

سبحانه :﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ .

ومنه :﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ مثل :﴿ خلقنا لكم ﴾ .

ومنه:﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [1].

وقال أيضاً : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ هذا استفهام إنكار عليهم ، وزينة الله هاهنا : الثياب ، كقوله تعالى : ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ [2].

٢- تفسير القرآن بالسنة :

تعتبر السنة المصدر الثاني من مصادر التفسير بالمأثور ، قال ابن تيمية رحمه الله : (فإن أعياك ذلك يعني تفسير القرآن بالقرآن فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له) [3].

ولقد أكثر ابن ظفر رحمه الله من تفسير القرآن بما ورد عن النبي ﷺ وقد يورد الحديث لبيان معنى لفظ أو لبيان معنى الآية ، وقد يأتي بالحديث كاملاً أو بجزء منه حسب ما يقتضيه السياق وأحياناً يأتي بمعناه ولا يلتزم باللفظ ، ومن الأمثلة:-

عندما فسَّر قوله تعالى : ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ساق حديثاً يدلُّ على ذلك فقال : روي لنا من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه قال : أتى رجل بالجعرَّانة منصرفه من حنين ... الخ [4] .

---

(١) انظر صفحة (١٠٩) .

(٢) انظر صفحة (١٢٨) .

(٣) مقدمة في أصول التفسير ص (٩٣) .

(٤) انظر الحديث كاملاً في التحقيق ص (٧٩) .

وساق في تفسير قوله تعالى : ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ حديثاً من غير إسناد بقوله : جاء فيه من الآثار النبوية :" كلوا واشربوا وتصدقوا في غير مخيلة ".

وساق حديثاً مرفوعاً يدلُّ على المعنى أيضاً فقال : روي لنا ما رواه أبو داود بإسناده أنَّ علي بن أبي طالب ﷺ قال : أنَّ نبي الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه.... الحديث[1].

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين :

هذا المصدر من مصادر التفسير بالمأثور ، فالصحابة ﷺ أعلم الناس بالقرآن الكريم بعد النبي ﷺ ، لأنهم عاصروا نزول الوحي ، والقرآن نزل بلغتهم، والتابعون هم تلاميذ الصحابة ، أخذوا عنهم وتلقَّوا منهم ، كذلك عُرفوا بالزهد والورع وكثرة العبادة ، والإقبال على طلب العلم والحرص عليه ، وقد اهتم العلماء بأقوالهم ، وتفسيرهم للقرآن ، وجعلوها بعد أقوال الصحابة ﷺ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في هذا المصدر : (وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك ؛ لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح ، ولا سيما علماؤهم وكبراؤهم)[2].

ثم ذكر ﷺ كلاماً فقال : (إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، ولا

---

(١) انظر ص (١٢٢) من التحقيق .

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٩٠ .

وجدته عند الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين) [١].

وابن ظفر ﷺ اعتنى بهذا النوع من التفسير عناية فائقة ؛ فالناظر في كتابه يجد ذلك واضحاً ، فأسماء الصحابة والتابعين ﷺ وأقوالهم تشمل حيِّزاً كبيراً منه.

والأمثلة كثيرة جداً عن نقله عن الصحابة ﷺ ، وخاصة ابن عباس ﷺ ومن أمثلة ما نقله عنه نقله لكلامه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ ﴾ الآية، ... قال ابن عباس ﷺ: يريد أنكم غير شاكرين لأنعمي [٢].

ولقد كان يكتفى أحياناً ابن ظفر بعزو الأقوال إلى أصحابها بدون ذكر السَّند إليهم حتى فيما يتعلَّق بالأحاديث أحياناً ، وأحياناً يذكر القول دون نسبة ، ومثال ذلك : عند تفسيره لقوله تعالى :﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ ﴾ قيل : لما ناداهما الله سبحانه فرَّا حياء منه.

قال السدي : مرَّ آدم فاراً فأخذت شجرة العناب بوفرته ، فقال الله سبحانه : أتفرُّ مني يا آدم ، قال: بل حياء منك يا رب.

وقال عطاء : بلغني أنَّ الله ناداه : أفِراراً مني يا آدم . فقال : بل حياءً منك ، إنه حلف لي باسمك ، وما ظننت أنَّ أحداً يحلف باسمك كاذباً [٣].

وأحياناً يروي أقوالهم بالمعنى ، ومثاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ ، وقال مقاتل ما معناه : أي أن صليت في كنيسة ، أو بيعة فاستقبل

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٢ .

(٢) انظر التحقيق ص(٨٢) .

(٣) انظر التحقيق ص(١٠٣) .

المسجد الحرام[١].

وأحياناً يضعف بعض الأقوال ويذكر سبب ذلك ، ومثاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي : قد ساويتمونا في الكفر، وقيل : أي لم يستجب الله لكم ، ولا فضلكم علينا بتخفيف العذاب ، وقال بعضهم : أنَّ القادة جعلوا تحت أقدام الأتباع ، وكان مع ذلك لكل منهم ضعف ، وهذا بعيد من وجهين:

أحدهما : أن دعائهم يكون قد استجيب .... الخ[٢]:

وكذلك إيراد أقوال الصحابة والتابعين في مجال القصص والأخبار ، ومثاله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ ذكر جملة من أقوال الصحابة والتابعين[٣].

وقصة المواعدة في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ﴾[٤] إلى غير ذلك من القصص التي وردت في سورة الأعراف .

ثانياً : منهجه في القراءات :

لقد اهتم ابن ظفر اهتماماً كبيراً بالقراءات ، ومن أهم ما يميز منهجه فيها أنه يجمع الكلام على القراءات الواردة في الآيات المراد تفسيرها في موضع واحد قبل الشروع في التفسير ، ويجعل لذلك عنواناً بقوله : ذكر القراءات، ثم يذكرها منسوبة إلى رواتها ، ومن أمثلة ذلك :

---

(١) انظر التحقيق ص (١١٦).

(٢) انظر التحقيق ص (١٣٦) .

(٣) انظر التحقيق ص (٢١١-٢١٣) .

(٤) انظر التحقيق ص (٢٨٥) .

عند تفسيره لأوَّل سورة الأعراف : ابتدأ ذلك بقوله : ذكر القراءات : قرأ ابن عامر وحده : ﴿ قَلِيلاً مَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ بالياء الخاتمة بعدها التاء المثناة[١].

وعند ذكر بعض القراءات يقوم بتوجيه القراءة إعرابياً ، ومن أمثلة ذلك :

قرأ الأعمش : (مذُوْماً) بضم الذال ، وهي لغة .

وقال في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ :

وأما القراءة بنصب ﴿ خَالِصَةً ﴾ فقال الفراء : نصَب على القطع من لام مضمره ، المعنى وهي لهم في الآخرة خالصة[٢].

ثالثاً : منهجه في العقيدة:

لقد تبيَّن فيما سبق أنَّ المؤلِّف أشعري المذهب ، وفي تفسير سورة الأعراف اتَّضح جلياً موقفه من الأسماء والصفات ، فإنه قد أثبت أغلب أسماء الله ولم ينف منها شيئاً ، وذلك في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ .

فأخذ في شرح الأسماء وآثارها وبيان معانيها ، وخالف مذهب السلف في تفسيره لبعض الأسماء ، حيث عمد إلى تأويل المشتقَّة من بعضها ، كما فعل في (الرحمن الرحيم) ، و (العلي) فأوَّل صفة الرحمة بإرادة الإنعام والإحسان فقال: (الرحمن الرحيم فرحمته ورأفته إنعامه ، كما أنَّ غضبه وسخطه انتقامه) [٣].

ثمَّ إنَّه فسَّر بعض الأسماء بخلاف المأثور عن النبي ﷺ ؛ فالأول والآخر والظاهر والباطن قد بيَّن معانيها النبي ﷺ حيث كان يقول إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ

---

(١) انظر ص (٦٦) .

(٢) انظر ص (١٢٩) .

(٣) انظر ص (٣٤٣) .

"اللهم رَبَّ السماوات وَرَبَّ الأرض وَرَبَّ كل شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى مُنَزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ كل ذِي شَرٍّ أنت آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ أنت الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ..." [(١)].

فكان الأولى التقيُّد بتفسير النبي ﷺ.

وأما في الصفات فقد أوَّل صفة الاستواء بالاستيلاء كما سبق بيانه [(٢)].

رابعاً : منهجه في اللغة :

لقد ظهر هذا الجانب واضحاً جلياً في تفسيره ، فأسماء اللغويين وأقوالهم تنتشر في تفسيره ، وكذلك الأبيات الشعرية التي أوردها في تفسيره حسب ما يحتاج إليه ، مع إيضاحه لبعض المعاني الغريبة التي ترد.

ومعرفة اللغة من الأمور التي يجب على المفسر أن يكون على معرفة بها كما قال مجاهد : لا يحلُّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب[(٣)].

لذلك كان لتفسير ابن ظفر جوانب متعددة في التفسير اللغوي ؛ فأحياناً يوضح معنى الكلمة بما قاله أئمة اللغة ، وما تناقله العلماء عنهم ومثال ذلك :

في تفسيره لقوله تعالى : ﴿مَذْءُومًا﴾ الذأم : العيب ، ومنه الكلمة السائرة : لا تعدم الحسناء ذامَاً ، أي عيباً ، وحكى ذامَّاً بتشديد الميم أي لا تعدم من يذمها ،

---

(١) **صحيح** . أخرجه أبو داود في سننه برقم:(٥٠٥١) في باب ما يقال عند النوم ، وصححه ابن تيمية في الفتاوى (١٦/ ١٠٠) ، والألباني في صحيح أبي داود (٥٠٥١) .

(٢) انظر ص (٢٧) من الرسالة .

(٣) انظر : البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩٢) ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ١١٩) .

والأول أحسن[١].

ومثال على استشهاده بالأشعار : عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَرِيشًا﴾ والريش : المال ، يقال : رشت الرجل أي أعطيته مالاً.

وقال الشاعر :

فرِشْنِي بخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي وخَيْرُ المَوَالِي مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْرِي

فهذا البيت يدلُّ على أصل قولهم : رشت الرجل[٢].

خامساً : منهجه في تفسير الأحكام :

بعد التحقيق اتضح اهتمام ابن ظفر رحمه الله بالأحكام الفقهية وخاصة مذهب الإمامي مالك والشافعي ، ولكنه لم يكن متوسعاً في الكلام عنها ، وإنما يسلك سبيل الاختصار ولذا لم نجده يحيل الأقوال إلى مذاهب الفقهاء وفي المسألة غالباً إلا إلى مذهب المالكية.

وكما أنه استفاد من كتاب الإمام مالك (الموطأ) في مجال الأحاديث النبوية ، كذلك استفاد منه أيضاً في مجال الأحكام الفقهية حيث نقل عنه.

فيقول مثلاً : وفخذ الرجل عورة ، وسئل مالك رحمه الله هل للرجل أن يرى فخذ خصي تملكه المرأة فقال : لا بأس بذلك ، فقال بعض أصحابه لو كان يرى أنَّ فخذ الرجل عورة لم يقل هذا[٣].

سادساً : عنايته بذكر الفوائد والعبر والمعجزات :

اعتنى ابن ظفر بذكر الكثير من الفوائد والعبر ، كما أبان عن المعجزات التي

---

(١) انظر ص (٩٣) من الرسالة .

(٢) انظر ص (١٠٩) من الرسالة .

(٣) انظر ص (١٢٥) من الرسالة .

حدثت للأنبياء ، فقد حكى ما حدث لقوم صالح في معجزة الناقة[١] ، وما حدث لموسى عليه السلام كمعجزة العصا التي تحوَّلت في مجتمع السحرة إلى حية تسعى[٢] كما اهتمَّ بذكر القصص ، ومثال على ذلك : ما ذكره على سبيل الاختصار قصة المواعدة وما اتصل بها من ذكر العجل وعبادتهم له ، وتوبتهم ووفادة السبعين رجلاً[٣].

كما أكثر من القصص والأخبار الإسرائيلية ناسباً بعضها إلى أصحابها من أمثال: كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم ، مشيراً أحياناً إلى أخذه من التوراة مباشرة .

سابعاً : منهجه في علوم القرآن :

عند الإطلاع على تفسيره ندرك اهتمامه بعلوم القرآن ، حيث نجده يشير إلى بعض مباحثه ومن ذلك :

١ - اهتمامه ببيان المكي والمدني من الآيات وآخر ما نزل وأول ما نزل وذلك عند بداية تفسيره لسورة الأعراف حيث قال : (وفيها مدني يذكر - إن شاء الله - سبحانه في موضعه ، وقال مقاتل: هي أول ما نزل بالمدينة) [٤].

٢ - اهتمامه بأسباب النزول فيذكر أكثر من سبب نزول : ومثال ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال : قيل: نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وكان قرأ الكتب السالفة وعرف قصص الأنبياء ...

---

(١) انظر ص (١٧٨-١٨٨) من الرسالة .

(٢) انظر ص (٢٠٤-٢٠٥) من الرسالة .

(٣) انظر ص (٢٨٥) من الرسالة .

(٤) انظر ص (٦٦) من الرسالة .

الخ[١].

وقيل : نزلت في أبي عامر الذي أرصد له المنافقون مسجد الضرار[٢]، وقيل : المعنى بها رجل من صلحاء بني إسرائيل.... الخ[٣].

ومن منهجه أيضاً :

١- أنه لا يذكر اسم السورة ، بل يذكر أول كلمة من السورة ، مثل سورة المص، ونحو هذا حين ذكر سورة الإنسان قال : (سورة هل أتى) .

٢- غالباً لا ينقل من المفسِّرين نصاً ، بل ينقل عنهم بالمعنى .

٣- يذكر روايات عنه ، ومن كتبه ، كقوله : (روي لنا) ، (وقد روي لي) ، ونحو ذلك .

٤- وضوح شخصية المؤلِّف ، يتضح في مثل قوله عن مسألة ما : (وهذا غلط أظنه) .

٥- تقطيعه للآيات في شرحه ، فيشرح تقريباً كل عشر آيات معاً .

٦- يذكر فوائد للقصص وللأخبار المذكورة في شرحه ، كقوله : (من الفوائد الزوائد في القصة ...) ، وكقوله : (ومن الفوائد في خطاب النبي ﷺ) .

٧- يذكر أقوالاً لم يقل بها المفسِّرون من قبله ، مثل قوله في اللباس .. وعنايته بأن وضع فصلاً في الفقه في أحكام اللباس .

---

(١) انظر ص (٣١٨) من الرسالة .

(٢) انظر ص (٣١٩) من الرسالة .

(٣) انظر ص (٣١٩) من الرسالة .

- **المطلب الثاني** : مصادره .

بعد معايشتي لتفسير ابن ظفر الصقلي (ينبوع الحياة) وجدته يحوي مادة علمية عظيمة النفع ، فقد اهتمَّ المؤلف بالتفسير بالمأثور والقراءات اهتماماً كبيراً ، وعنى بالأحاديث النبوية وأكثر منها ، وتوسع في اللغة ، وعرض بعض الأحكام الفقهية ، والمسائل العقدية ، فمن الطبيعي أن تكون مصادره كثيرة ، ويعدُّ القرآن الكريم من المصادر المهمة التي اعتمد عليها ابن ظفر ؛ فكان يفسِّر بعض آيات القرآن بما ورد في القرآن نفسه من آيات أُخر ، تدور حول المعنى نفسه.

كما اعتمد على أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم حيث أكثر في تفسيره الرواية عنهم ، من أمثال : عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حبر هذه الأمة وترجمان القرآن ، وعمر بن الخطاب ، وعبدالله بن مسعود ، ومجاهد وعطاء والحسن ، وعكرمة ، وقتادة ، وأبي العالية ، ومحمد بن كعب القرظي ، وزيد بن أسلم ، والكلبي ، والضحاك ومقاتل بن سليمان ، والسدي ، وسعيد بن جبير ، وغيرهم ، ولم يصرِّح أو يشِرْ إلى المصادر التي اعتمد عليها فيما يورده من أقوالهم ، لذا لا نعرف عن مصادره في هذا المجال إلا تفسير الطبري وابن أبي حاتم ؛ الجامعة للكثير من أقوال الصحابة والتابعين مسندة إليهم.

وكذلك اعتمد في التفسير على إيراد القراءات بشكل واسع مع نسبتها إلى أصحابها إلا أنه لم يذكر المصادر ، فذكر قراءة من اشتهر من القراء بالقراءات سواء من الصحابة أو من التابعين ؛ كالقراء العشرة الذين أجمع الناس على تلقي قراءاتهم بالقبول ، وهم : أبو جعفر ، ونافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب،

وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف[١] .

وكذلك الحال بالنسبة لعلوم القرآن فلا نعرف من مصادره فيها شيئاً ، لأنه لا ينسب الأقوال فيها غالباً . وكذلك لم يذكر مصادره في العقيدة.

ومن المصادر التي استطعت التعرف عليها هي :

أولاً : مصادره من السنة النبوية :

جمع ابن ظفر في تفسيره مجموعة كبيرة من الأحاديث النبوية الشريفة واستشهد بها لأغراض مختلفة ، واعتمد عليها كثيراً ومن المصنفات الحديثية التي لم يصرح بها في سورة الأعراف إنما استفاد منها دون العزو إليها فمنها :

- صحيح البخاري[٢]، صحيح مسلم[٣]، الترمذي[٤]، ابن ماجة [٥].

أما ما صرح به فهو : سنن أبي داود[٦]فيقول : روي لنا مارواه أبو داود بإسناده ، وكذلك موطأ الإمام مالك [٧] ، وغيرها من المسانيد والآثار.

ثانياً : مصادر اللغة والشعر :

أما مصادره في اللغة فقد أكثر ابن ظفر النقل عن :

---

(١) انظر الصفحات : (٦٨ ، ٦٩ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٩٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٣٦٣) وغيرها .

(٢) انظر ص (٨٠ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٤٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤٩ ، ٣٣٠) وغيرها.

(٣) انظر ص (٨٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٣٣٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥) وغيرها .

(٤) انظر ص (١٠٣ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢١٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٠)وغيرها .

(٥) انظر ص (١٢١ ، ١٣٥ ، ٢١٣ ، ٣٢٠) وغيرها .

(٦) انظر ص (١٢٢ ، ١٢٧) من الرسالة .

(٧) انظر ص (٣١٤) من الرسالة .

الفراء (يحيى بن زياد) ، ت ٢٠٧هـ ، من كتابه : معاني القرآن [١].

وكذلك من مجاز القرآن لأبي عبيدة النحوي[٢] (معمر بن المثنى)، ت ٢٠٩هـ، والخليل بن أحمد الفراهيدي [٣]ت ١٧٠هـ ، والكسائي (علي بن حمزة)[٤]ت ١٨٩هـ ، وأبو بكر الأنباري ت ٣٢٨هـ[٥].

وقد لا يذكر الأسماء ويكتفي بقوله : قال : أهل اللغة.

كما تضمَّن تفسيره مصادر عديدة من دواوين الأشعار من ذلك :

١ - ديوان أبي النجم العجلي[٦].

٢ - ديوان العجاج[٧].

٣- ديوان الأعشى[٨].

٤ - ديوان عروة بن الورد[٩].

وغير ذلك من الدواوين التي لم ينصَّ عليها .

ثالثاً : مصادره في الأحكام الفقهية :

في مجال الأحكام الفقهية نقل ابن ظفر ﷺ من الإمام مالك بن أنس من

---

(١) انظر ص (٧٥، ١٢٩، ١٤٢، ١٥٩، ٣٢١، ٣٥٧) .

(٢) انظر ص (١٨٠، ١٩٩، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٦٤) .

(٣) انظر ص (٢١٧) .

(٤) انظر ص (٦٨) .

(٥) انظر ص (١٢٩) .

(٦) انظر ص (٨٤) .

(٧) انظر ص (٩٣) .

(٨) انظر ص (٩٩) .

(٩) انظر ص (١٦٤) .

كتابه (الموطأ) لإنه مالكي المذهب ، وكذلك كان ينقل عن الإمام الشافعي ، فقد أورد في تفسيره آراءً للشافعي رحمه الله [١].

ولأنَّ السورة لم تتناول أحكاماً فقهية كثيرة فإنَّ وجود ذلك قليل .

رابعاً : مصادره في القصص والأخبار :

أما مصادره في تفسيره في مجال الأخبار والروايات والسير فكان يعتمد على كعب الأحبار[٢]، ووهب بن منبه[٣]، ومحمد بن إسحاق[٤]، وغيرهم ، ولكنه لا يسُوْق طريق السَّند الذي نقل به عن هؤلاء.

(١) انظر ص (٣٧٩ ، ٣٨١) .

(٢) انظر ص (٢٥٤) .

(٣) انظر ص (٢٥٧) .

(٤) انظر ص (٢٧٧ ، ٣٠٣ ، ٣٢٣) .

❖ **المبحث الرابع** : مكانته العلمية ، **وتحته ثلاثة مطالب** :

- **المطلب الأول** : تأثيره فيمن بعده .

تظهر مكانة هذا الكتاب وقيمته العلمية بين كتب التفسير فيما يأتي :

١ - أنه الوثيقة الوحيدة حتى الآن التي تعطينا صورة واضحة عن ابن ظفر مفسراً ، وإن ألَّف العديد من الكتب في علوم شتى منها هذا الكتاب ، وكتاب في التفسير اسمه التفسير الكبير ، الذي ذكره المترجمون له.

٢ - كونه من الكتب التي تعتمد على التفسير بالمأثور.

٣- جودة عرض مؤلفه فيه ، حيث يذكر بداية الآيات المكية والمدنية ، ثم يتطرَّق إلى أهم القراءات الواردة في المقطع من الآيات المراد تفسيرها ، ثم يذكر الآيات والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين ﭫ في تفسير الآيات مع توضيح معاني الآيات من اللغة ومستشهداً على ذلك بالشعر .

٤ - كون مؤلفه لم يقتصر على تفسير الآيات ، بل يذكر القراءات وأسباب النزول والأحكام الفقهية ، والمسائل العقدية، إلى غير ذلك من العلوم التي تدخل في نطاق الآيات التي تناولها بالشرح والتفسير.

٥ - في الكتاب الكثير من الفوائد والعبر والقصص والدعاء وشرح لأسماء الله الحسنى في ختام السورة ، إلى غير ذلك من العلوم التي تدخل في نطاق الآيات التي تناولها بالشرح والتفسير.

- **المطلب الثاني** : خصائص الكتاب .

من خلال تحقيقي لهذا الجزء من تفسير (ينبوع الحياة) ظهرت لي بعض المزايا التي ينبغي بيانها فمن أهم ما تميز به هذا التفسير :

١ - تميز بجمعه الكلام على القراءات في المقطع الواحد ، المراد تفسيره في مكان واحد ، ويصدرها بعنوان : (ذكر القراءات) ، وقد ضمَّ ذلك الكثير من القراءات المتواترة المشهورة ، ليبيِّن المعنى ، وكذلك ضم قراءات شاذة ، مع نسبته كل قراءة إلى راويها وتوجيه بعضها إذا دعت الضرورة لذلك.

٢ - اشتمل تفسيره على التفسير بالمأثور فقد حرص ﷺ على هذا اللون من التفسير فأكثر منه ، وقدمه على غيره.

٣- اهتم بعزو الأقوال إلى أصحابها غالباً سواء في مجال التفسير أو الحديث أو اللغة أو الأحكام أو القصص والأخبار.

٤ - اشتمال هذا التفسير على الأحاديث النبوية التي لا يكاد يخلو مقطع منها ، ويعتد عليها في تقديم قول على قول أو اختيار قول معين.

٥ - اهتمامه البالغ باللغة ، حيث يختار بعض ألفاظ من الآية ليحللها ، فيذكر أصل الكلمة أو المعنى اللغوي الذي تدل عليه ، ثم يورد الكلمات التي تشاركها في حروفها أو بعضها ليردها جميعاً إلى أصل واحد ، ويستشهد بما يؤيده من كلام العرب شعراً أو نثراً.

٦ - ومما يتميز به هذا التفسير عرض مؤلفه لبعض علوم القرآن ، الذي يدل على إلمامه ﷺ بعلوم القرآن بكل ما يحتاج إليه المفسِّر.

٧- يمتاز بعنايته بآيات الأحكام وذكر الأحكام المستنبطة منها ، مع بيان الأدلة وذكر أقوال بعض الفقهاء في ذلك.

٨- ومن مزايا هذا التفسير : الإيجاز والوضوح وخلوه من كثرة الخلافات.

٩- ومن أبرز المزايا : الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، والعناية التامة بجميع القراءات والمعاني واللغة ولأهمية تفسيره فقد ترجم له كثيرٌ من المؤرِّخين ، وأثنوا عليه فقالوا : وفسَّر القرآن تفسيراً جميلاً في مصنف سماه : (ينبوع) ، وفي موضع آخر ورد اسمه (ينبوع الحياة) في التفسير للقرآن الكريم ، وهو كبير وضخم الحجم ، جليل القدر والشأن في التفاسير.

١٠- اشتماله على العديد من الفوائد والعبر ، والقصص والأخبار.

- **المطلب الثالث** : الملحوظات على الكتاب .

على الرغم من كثرة محاسن هذا التفسير كما مرَّ بيانه فإنه لا يخلو من بعض الملحوظات التي تؤخذ عليه ، ومنها :

١ - مخالفة منهج السلف ، أهل السنة والجماعة في بعض الصفات ، فإنَّ المؤلف التزم بمنهج التأويل في بعض الصفات مثل تأويله للاستواء بالاستيلاء كما سبق ذكره.

٢ - مع أن ابن ظفر كان عالماً بالحديث وعلومه ، إلا أنه أحياناً يذكر الحديث بمعناه ، وغالباً بدون عزو ، ونادراً ما ينسب الحديث لمن رواه من أئمة الحديث كما أنه لم يبيِّن منزلته من الصحة أو الحسن أو الضَّعف ؛ بل أحياناً يستشهد بأحاديث ضعيفة من غير بيان لعدم ثبوتها.

٣- عدم عزو كثير من أراء علماء التفسير إلى أصحابها.

٤ - اعتماده على كثير من الضعفاء أمثال الكلبي والسدِّي.

٥ - إيراده لبعض أسباب النزول الضعيفة دون تمحيص أو تدقيق إلى جانب الأسباب الصحيحة دون ذكر درجة الضَّعف.

٦ - غالباً ما يترك الصلاة والسلام على الرسول ﷺ بالكلية ، أو الاقتصار على عليه السلام ، وكذلك عند ذكره للأنبياء عليهم السلام ، ويمكن أن يكون ذلك من فعل النسَّاخ ، لا من فعل المؤلف .

٧- كثيراً ما يترك الترضِّي عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وعند ذكره لعلي بن أبي طالب يقول : عليه السلام ، وهذا مخالف لما عليه السلف الصالح لأنه ورد الترضي عليه دون قول : عليه السلام التي تخص الأنبياء والرسل.

٨- أنه كثيراً ما ينقل الأقوال والآثار والشعر بالمعنى ، أو بتغيير لفظة كذلك في ألفاظ الأحاديث .

٩- ورود أخطاء في الأسماء وبعض الأخطاء الإملائية ، ولعلَّ ذلك من فعل النساخ.

❖ **المبحث الخامس** : وصف النسخة المعتمدة وعرض نموذج لها .

لقد سعيت وبحثت في جمع نسخ هذا المخطوط ، فلم أعثر إلاَّ على نسخة واحدة ، وهي نسخة دار الكتب المصرية وتحمل رقم (٣١٠) تفسير ، وتوجد لها صورة رقمية فلمية في مركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أمِّ القرى بمكة المكرمة تحت رقم : (٧٥٨).

ولم أكتف بالاطلاع على النسخة المصورة في جامعة أم القرى ؛ بل سافرت إلى مصر ، وزرت دار الكتب في القاهرة ، واطلعت على النسخة الأصلية ، وقابلتها على المصوَّرة ، كما زرت مكتبة الاسكندرية في الاسكندرية للبحث عن النسخ الأخرى فوجدت نسخة أخرى سقط منها الجزء الذي يشتمل على تفسير سورة الأعراف .

وقد طلبت تصوير بقية الأجزاء للرجوع إليها في إحالات المؤلف ﷺ وتوثيقها .

ويتكوَّن هذا الجزء "الجزء الثاني" من : (٢٦٥) ورقة ، مقاس ١٨×٢٧سم ، وعدد أسطر الصفحة ٢٣ سطراً ، ويحمل رقم (٢١٨٥٦) ، وقد كتب بخط نسخ واضح مشكول في القرن السابع الهجري ، ويوجد به بعض السَّقط في بعض السور ، وجاء تفسير سورة الأعراف في مائة وست ألواح من هذا الجزء تبدأ من اللوح (١٠١) إلى نهاية اللوح (١٥٤) .

نماذج من المخطوط

صورة من غلاف نسخة دار الكتب المصرية (الجزء الثاني)

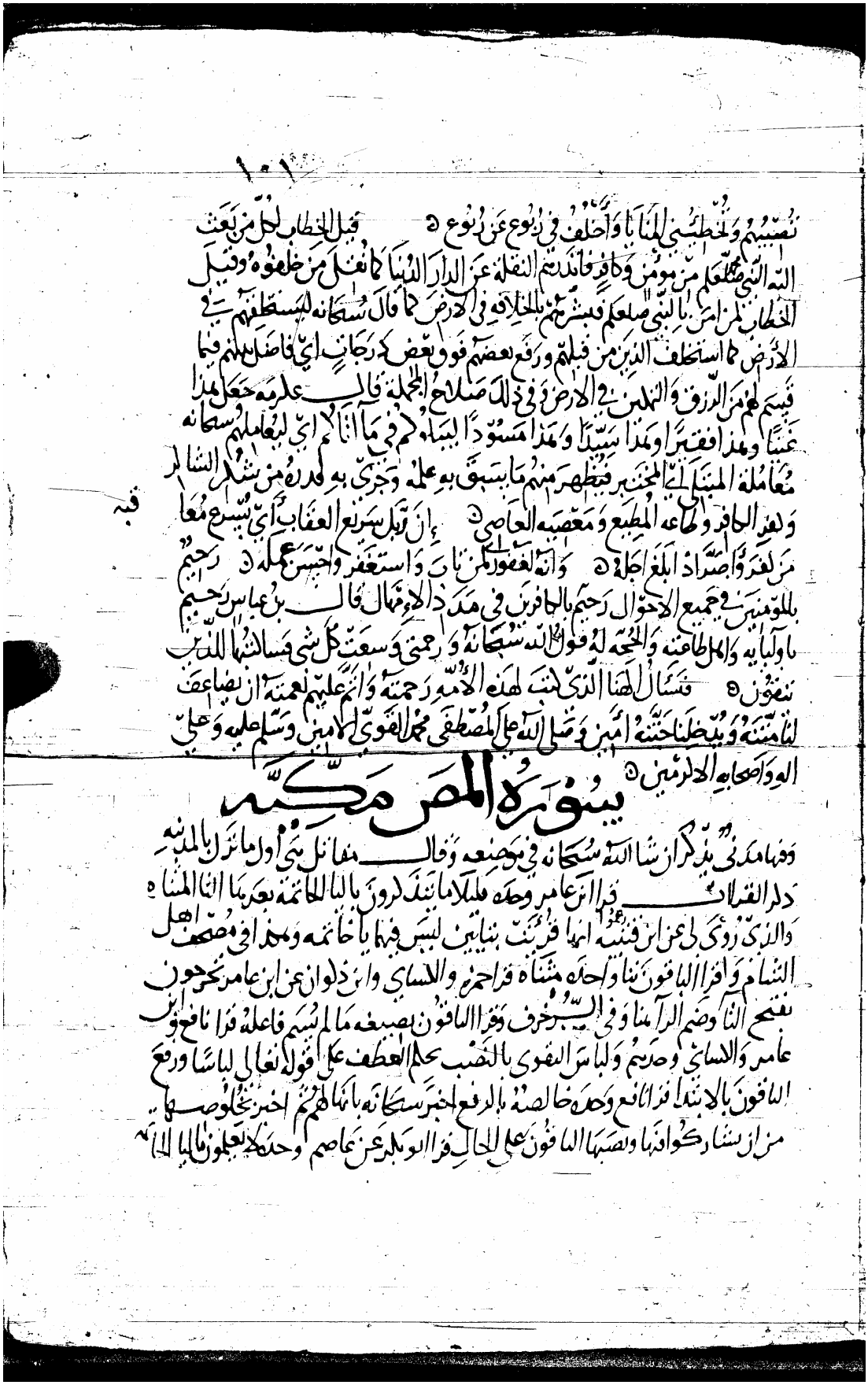

نصيبهم ويخطئني لهنا باوا اختلف في نوع عن نوع ۞ قيل الخطاب لكل من بعث
الله النبي صلعم من مؤمن وكافر فانذرهم الغفلة عن الدار الدنيا كما نقل من خلفوه وقيل
الخطاب لمن امن بالنبي صلعم فبشرهم بالخلافة في الارض كما قال سبحانه ليستخلفهم في
الارض كما استخلف الذين من قبلهم ورفع بعضهم فوق بعض درجات اي فاضل بعضهم فيما
قسم لهم من الرزق والتمكين في الارض وفي ذلك صلاح الجملة قال علي رضه جعل هذا
غنيا وهذا فقيرا وهذا سيدا وهذا مسودا ليبلوكم في ما اتاكم اي ليعاملهم سبحانه
معاملة المبتلي المختبر فيظهر منهم ما يسبق به علمه ويجري به قدره من شكر الشاكر
وكفر الكافر وطاعة المطيع ومعصية العاصي ۞ ان ربك سريع العقاب اي يسرع معاقبة
من كفر واصر اذا بلغ اجله ۞ وانه لغفور لمن تاب واستغفر واحسن عمله ۞ رحيم
بالمؤمنين في جميع الاحوال رحيم بالكافرين في مد الاجال قال ابن عباس رحيم
باوليايه واهل طاعته والحجة له قول الله سبحانه ورحمتي وسعت كل شي فسانتبها للذين
يتقون ۞ فسال الهنا الذي كتب لهذه الامة رحمته وانعم عليهم نعمته ان يضاعف
لنا مننه ويديم لنا حسناته امين وصلى الله على المصطفى محمد النبي الامين وسلم عليه وعلى
اله واصحابه الطاهرين ۞

سورة المص مكية

وفيها مدني يذكر ان شا الله سبحانه في موضعه وقال مقاتل مكي اول ما نزل بالمدينة
دار القرار الا قرا ابن عامر وحده قليلا ما يتذكرون بالتا الثانية بعد ما التا المشاة
والذي روى لي عن ابن فليته انها قرئت بتاءين ليس فيها يا خائمه وهذا في مصحف اهل
الشام وقرا الباقون بتا واحدة مشاة قراهم والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر تخرجون
بفتح التا وضم الراء منا وفي الزخرف وقرا الباقون بضمه ما لم يسم فاعله قرا نافع وابن
عامر والكسائي وحفص ولباس التقوى بالنصب بحلم العطف على قوله انعالي لباسا وريشا
الباقون بالابتدا قرا نافع وحده خالصة بالرفع اخبر سبحانه بانها لهم يوم اخبر بخلوصها
من ان يشاركوهم فيها ونصبها الباقون على الحال قرا ابو بكر عن عاصم وحده لا يعلمون فالبا التا

الصفحة الأولى من الكلام على سورة الأعراف

الكلام عليها من فاتحتها

الى قول الله سبحانه تعالى لا ما تشكرون ۝ بسم الله الرحمن الرحيم
المص كتاب انزل اليك الآية ۝ ان كانت الحروف المقطعة اسما للسورة فهي في موضع
رفع التقدير منه المص وقيل يا مرفوعة بالابتداء والخبر ص التقدير والتاويل
الحروف المقطعة التي منها المص ص انزل اليك اي صنعت الفاظه منها وان اريد الله
عز اسما الله سبحانه او كلام مستقل فالتقدير هذا الر قال ابن عباس المص
اي انا الله اعلم وافصل وقد سبق الكلام مستوفى في سورة البقرة على هذا وسنعود
ان شاء الله تعالى اليه واقول مع ذلك ان كان في القرآن متشابه لا يعلم تاويله الا
الله سبحانه فهو الحروف المقطعة في اوائل السور فاما ما فيه من الامر والنهي والاخبار
والوعد والوعيد والمحكم والامثال والمواعظ والهدايه الى مستحسن الاعتبار والتنبيه
على عظم الاقتدار والتمدح بالاسماء الحسنى والصفات العلى وتدبر الملحدين
في الاسماء وتوبيخ الجاحدين للنعماء فلا يجوز ان يوصف شيء منه بانه لا يعلم تاويله الا
الله ۝ والحرج الضيق فضاق صدر النبي صلعم بان كذبه المشركون
وقول من قال الحرج الشك اي لا يكن في صدرك شك منه باطل بل هو قوله سبحانه
وضاق به صدرك ثم فسر سبحانه ذلك بتكذيبهم وسياتي الكلام على قوله سبحانه
فان كنت في شك واشباهه ۝ واللام لتعدية لام كي اي انزل اليك لتنذر به وجيز
ان يكون الذكرى وهي العظة في موضع نصب باضمار فعل او على تقدير ولتذكر به
ذكرى او ما انزل الكتاب الا بين صدر الكلام عام واخر بخص الكافرين لان الموسوم متعظ
وقوله سبحانه قليلا ما تذكرون لا يقتضي لهم بثبوت قليل من التذكر وشيء قليلا ما
يؤمنون وقليلا ما تشكرون ۝ ولما كان اتباع كتاب الله تعالى فما من آية الا وتجب ان
تعلم ما انزلت فيه وما معناها فمن تلاه ولم يعلم معناه لم يشهده قلبه لان القلب
يشهد المعاني والاذن تنفع الفاظ السمع الاشهد القلب ولا سبيل الى العمل بكتاب الله
تعالى على بصيرة لمن حجب عن فهم معانيه وقد سلب الله عز وجل من اقتصر على تلاوة

الصفحة الأولى من بداية تفسير سورة الأعراف

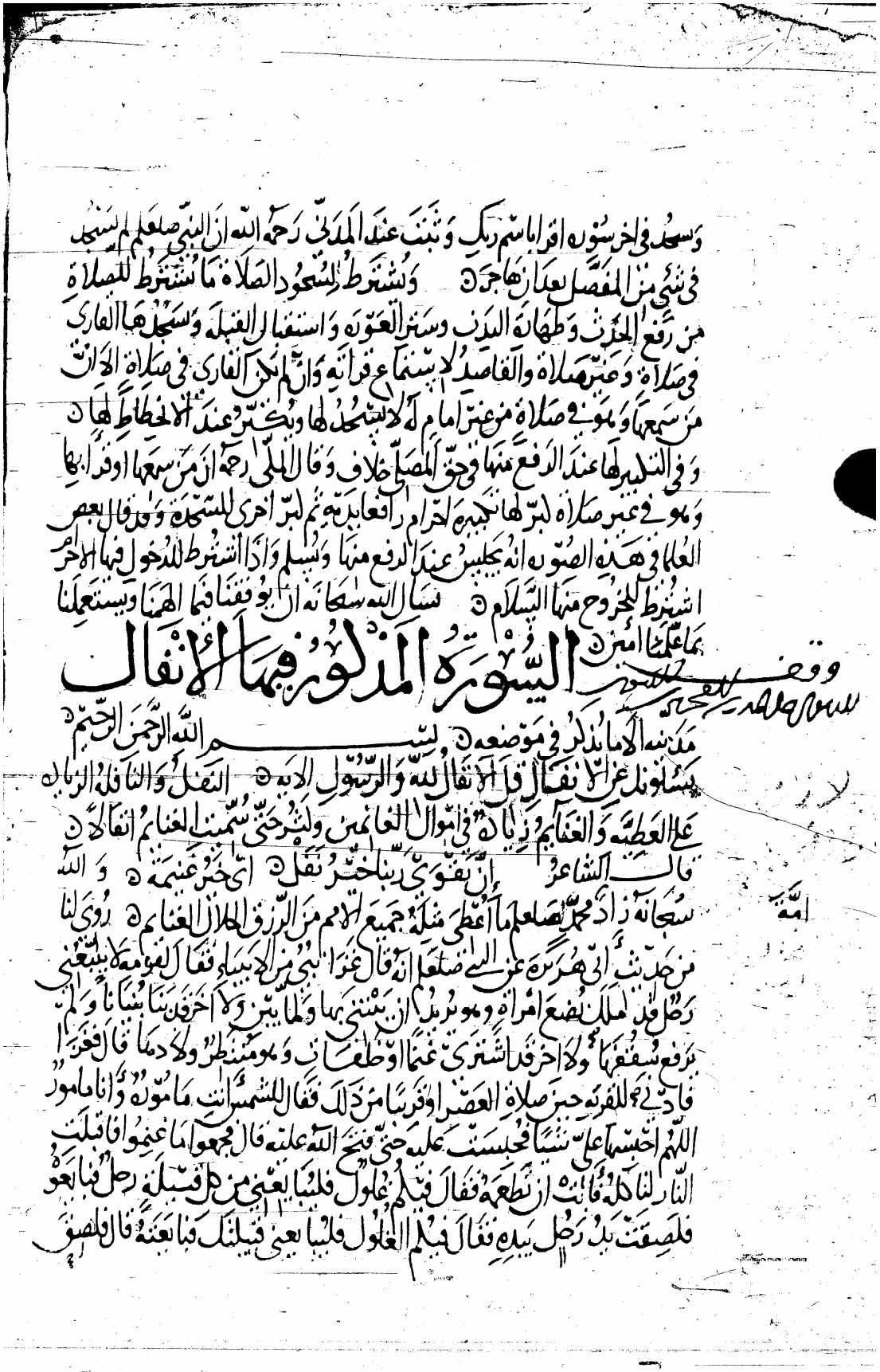

وسجد في اخر سورته اقرا باسم ربك وثبت عند المدني رحمه الله ان النبي صلعم لم يسجد
في شيء من المفصل بعد ان هاجر ۞ ويشترط لسجود الصلاة ما يشترط للصلاة
من رفع الحدث وطهارة البدن وستر العورة واستقبال القبلة وسجدها القاري
في صلاة وغير صلاة والقاصد لاستماع قراءته وان لم يكن القاري في صلاة الا ان
من سمعها وهو في صلاة من غير امام له لا يسجدها ويكبر عند الانحطاط لها ۞
وفي التكبير لها عند الرفع منها في حق المصلي خلاف وقال المكي رحمه ان من سمعها او قرأها
وهو في غير صلاة يكبر لها تكبيرة الاحرام ثم يكبر اخرى للسجدة وقد قال بعض
العلماء في هذه السورة انه يجلس عند الرفع منها ويسلم واذا اشترط للدخول فيها الاحرام
اشترط للخروج منها السلام ۞ نسال الله سبحانه ان يوفقنا فيما هنا ويستعملنا
بما علمنا امين ۞

السورة المذكور فيها الانفال

مدنية الا ما يذكر في موضعه ۞ بسم الله الرحمن الرحيم ۞
يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول الاية ۞ النفل والنافلة الزيادة
على العطية والغنايم زيادة في اموال الغانمين ولشرف سميت الغنايم انفالا ۞
قال الشاعر ان تقوى ربنا خير نفل ۞ اي خير غنيمة ۞ والله
سبحانه زاد محمدا صلعم ما اعطى مثله جميع الامم من الرزق الحلال الغنايم ۞ روي لنا
من حديث ابي هريرة عن النبي صلعم انه قال غزا نبي من الانبياء فقال لقومه لا يتبعني
رجل قد ملك بضع امراة وهو يريد ان يبني بها ولما يبن ولا احد قد بنا بنيانا ولم
يرفع سقفها ولا احد قد اشترى غنما او خلفات وهو منتظر ولادها فغزا
فادنى للقرية حين صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انت مامورة وانا مامور
اللهم احبسها علي شيئا فحبست عليه حتى فتح الله عليه قال فجمعوا ما غنموا فاقبلت
النار لتاكله فابت ان تطعمه فقال فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه
فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك فبايعته فقال فلصق

الصفحة الأخيرة من تفسير سورة الأعراف وبداية سورة الأنفال